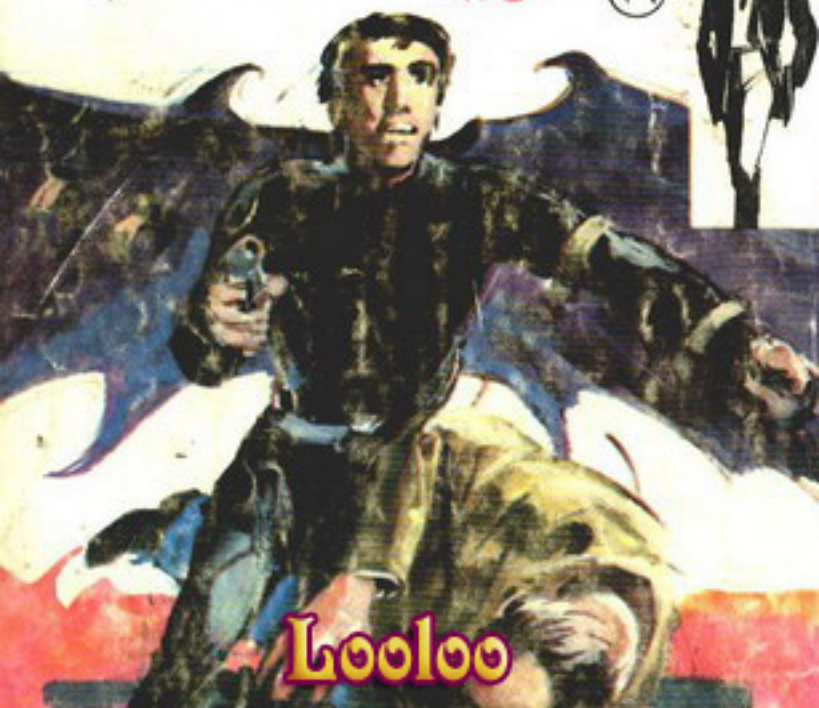


روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



شريعة الغصاب

٧٩



Looloo

www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يحيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - عودة الشيطان ..

تجسرت الدموع في عيني (منى توفيق) ، وانهمرت غزيرة في قلبها ، وعقلها يسترجع ذكريات قرية ..

ذكريات يومين سابقين فحسب ..

منذ أُلقت الشرطة المصرية القبض على الدكتور (أحمد) ، شقيق (أدهم صبرى) ، بتهمة محاولة تهريب المخابرات إلى داخل (مصر) ، بعد أن وجدوا معه حقيبة مملوءة بالهيريون النقي ، عند وصوله من (السويد) ..

وثار ثائرة (أدهم) ، فحصل على إجازة من عمله بالمخابرات العامة ، وراح يقاتل في إصرار وعناد ، لإثبات براءة شقيقه ، والإيقاع بالجرمين الحقيقيين ، حتى تحول من ضابط مخابرات إلى رجل يعمل ضد القانون ..

وتعرض (أدهم) لمحاولات قتل ، من جانب شبكة المخابرات ، التى يتزعمها رجل مجهول ، يُطلق عليه الجميع اسم (الإمبراطور) ، وانتقل القتال من نقطة إلى أخرى ، في

سرعة وقوة وعنف ، حتى وقع (أدهم) بذوره في قبضة الشرطة المصرية ..

ثم انقلبت الأمور فجأة ..

قرر وزير الداخلية المصري الإفادة من مهارات (أدهم صبرى) وقدراته ، فانتدبه للعمل في مباحث أمن الدولة ، وأسند إليه مهمة الإيقاع بشبكة المخدرات ، التي أثبت التحريات أنها شبكة جاسوسية فريدة ، تسعى لتخظيم الجبهة الداخلية للبلاد ، عن طريق نشر تلك السموم البيضاء القاتلة ، وتروجها ..

ثم انكشفت فجأة شخصية الإمبراطور ، وتبين أنه مدير مكتب (مراد غالب) ، صاحب مجموعة الشركات الضخمة ، والذي كان المشتبه فيه رقم واحد في البداية ، وسقط (أدهم) و (منى) و (قدرى) في قبضة الإمبراطور ورجاله ، مما أفقدهم الوعي ، ونقلهم إلى استراحة خاصة ، في طريق (القاهرة — الإسكندرية) الصحراوية ، وهناك تفجرت مفاجأة مذهلة ..

إن ذلك الإمبراطور ، الذى يحمل اسم (خالد رشوان) ، لم يكن سوى أحد ضباط (الموساد) ، ويُدعى

(إيلى كوهين) ، ويدير شبكتى المخدرات والجاسوسية في مهارة وذكاء الثعالب ، وشراسة ووحشية الذئاب ..

وكشف (إيلى كوهين) بنفسه تلك المفاجأة المذهلة . أمام (أدهم) و (قدرى) و (منى) ، في تبحر وزهو ، ثم صوب إلى رأس (أدهم) مسدس هذا الأخير ، المزود بكاتم للصوت ..

وأطلق النار ..

ورأى (قدرى) و (منى) الدماء تنفجر في جبهة (أدهم) ، قبل أن يسقط رأسه فوق صدره ، ويهدم حركته تمامًا ..

وصرخ (إيلى كوهين) في مرج جنونى :

— لقد فعلتها .. لقد قتلت (أدهم صبرى) ، فليجمل التاريخ اسم (إيلى كوهين) ، الرجل الذى قتل الشيطان المصرى ..

وانهار (قدرى) و (منى) ، أمام ذلك المشهد المؤلم^٢ الرهيب^(*) ..

وارتج المكان بضحكات (إيلى) الظافرة المزهوة ، وهو

(*) راجع الجزء الأول (ضد القانون) .. المغامرة رقم (٧١) .

ينقل بصره بين (منى) و (قدرى) فى شمانة ، قبل أن يناول
المسدس لأقرب رجاله ، قائلاً فى انفعال :

— انتظر حتى أبتعد ، ثم اقتلهما ، ليلحقا بصديقهما
الأسطورة فى جنة الأغبياء .

ثم عدل سترته ، ورباط عنقه ، وألججه نحو باب الخزن فى
هدوء ، فاستوقفه (قدرى) ، هاتفاً فى غضب ومرارة :

— لن تغفل أبداً .

ابتسم (إيلى) فى سخرية ، وقال :

— هكذا ؟! لا تغلق بشأنى أيها البدين .. حاول أنت
أن تستمتع بلحظاتك الباقية فى هذا العالم .

وأطلق ضحكة ساخرة ، وهو يغلق باب الخزن خلفه ، ولم
تمض لحظات حتى سمع الجميع صوت سيّارته تتطلق عائدة إلى

(القاهرة) ، وهنا فقط انهمرت دموع (منى) فى غزارة ،
وهى تشيح بوجهها بعيداً ، حتى لا تتطلع إلى جسد (أدهم) ،
والدماء التى تسيل من جبهته على وجهه ، وسمعت أحد رجال

(إيلى) يقول فى حزم :

— أظن أنه ينبغي أن نقللها الآن .

— أطلق النار على البدين أولاً ، ودع الفتاة بعض الوقت .
ارتجف جسد (منى) ، حينما أدركت ما تعنيه كلماته ،
على حين ابتسم الرجال فى خبث وطمعهم ، وصاح (قدرى) فى
غضب :

— أيها الأوغاد .. أيها الخُقرَاء .

التفت إليه الرجل ، الذى يحمل المسدس ، فى برود ،
وصوب فتوة المسدس إلى رأسه ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى
السخرية :

— لا تفعل هكذا أيها البدين .. إنك لن تبقى لتشاهد
ما سنفعله بها .

ضحّب وجه (قدرى) المكتظّ ، وهو يتف فى انفعال :

— أيها الملاعين .. يا حُثالة البشر .
غمغم أحد الرجال فى ضجر :

— هيا يا (وفيق) .. أخرس هذا البوق الضخم ، فلقد
سمنت صياحه .

ابتسم (وفيق) ، وهو يقول :

— بكل سرور .

ثم أطلق رصاصة المسدس على جبهة (قدرى) تماماً ..

وصرخت (منى) فى رُغب ومرارة وارتياح ، حينما رأت
الدماء تتفجّر فى جبهة (قدرى) ، وأيقنت من أنها قد أصححت
وحيدة ..

وحيدة وسط ذئاب البشر ..

انفضت كل خلية من خلايا جسد (قدرى) البدن فى
قوة ، حينما ارتطمت الرصاصة بجبهته ، وشعر بالدماء تتفجّر فى
موضع الرصاصة ، وتسيل على وجهه ، إلا أن الشعور الوحيد
الذى انتابه ، فى تلك اللحظة ، هو الدُھول ..
الدُھول ؛ لأن الرصاصة لم تصبه بالألم ، كما كان يتوقّع ،
ولأنه لم يَمُت ..

وانتقل دُھوله إلى رجال (إيل) ، وإلى (منى) ، حينما
رأوه يحدّق بهم فى دهشة ، دون أن يسقط جثة هامدة ، كما
كانوا يتوقّعون ..

وفجأة ، ارتجفت أجساد الجميع ، حينما ارتفع صوت
ساخر يقول :

— مفاجأة .. أليس كذلك ؟ ..

تجمّدت الدماء فى عروق (قدرى) و (منى) ،

وارتجفت فى عروق رجال (إيل) ، حينما رأى الجميع (أدهم
صبرى) يندفع من مكانه ، وقد تخلّص من قيوده ، والدماء
ما زالت تملأ جبهته ، وتسيل على وجهه ، وكأنه شبح عاد
لينتقم ..

وقبل أن ينفذ أحد الحاضرين دُھوله ، كانت قبضتا
(أدهم) وقدماه تحطّمان الأنوف والفكوك ، وتنال على
الرؤوس والأجساد ، فى سرعة وقوّة ومرونة مذهلة ..
وفجأة ، ساد الصمت ..

ساد بعد أن سقط كل رجال (إيل كوهين) فاقدى
الوعي ، والدماء تسيل من أنوفهم المخطّمة ، وتختلط بأنسانهم
المهشّمة ..

ولم تفه (منى) بحرف واحد ، وهى تحدّق فى (أدهم) فى
دُھول ، وهو يقترب منها متسّماً ، ويقول :

— هل تصوّرت أننى سأتحلّى عنك يا عزيزى ؟

تجمّدت الدماء فى حلقلها ، وهى تلتهمه بنظراتها فى هفة
ودُھول ، على حين راح هو يحلّ قيودها فى هدوء ، وهتف
(قدرى) :

— ولكن كيف ؟ ..!

ابنهم (أدهم) ، وهو يقول :

— إن مسدسى لم يكن يحسوى رصاصات حقيقية
يا (قدرى) ، وإنما نوع من الرصاصات المستخدمة فى عالم
السينما ، والتي تنفجر عند ارتطامها بالجسم ، وتقذف سائلًا
صناعيًا ، يشبه الدم فى لونه ولزوجته ، ولقد كنت أحس
مسدسى بها ؛ لأستخدمها فى إرهاب هؤلاء الأوغاد فحسب خشية
أن أفقد السيطرة على أعصابى ، فأقتل أحدهم فى ثورة غضب .

هنا فقط غمغمت (منى) :

— يا إلهى !!

ثم انفجرت باكياً ، بين ذراعى (أدهم) ، بعد أن حررها من
قيودها ، فربّت على ظهرها فى حنان ، وهو يغمغم :

— كنت أتصور أنك ستدركين ذلك يا عزيزتى ، فلقد
رأيتنى أستخدم نفس الرصاصات الزائفة ، لأجبر أحد هؤلاء
الأوغاد على الاعتراف ، فى مسكنى (*) .

أجهشت بالبكاء ، وهى تهف :

— لقد نسيت .. لقد أصابنى الرعب ، حينما رأيت ذلك
الحقير يطلق النار عليك ، حتى أنسى نسيت ذلك تمامًا .

(*) راجع الجزء الأول (ضد القانون) .. المغامرة رقم (٧١) .



تجمدت الدماء فى حلقها ، وهى تلتهمه بنظرها فى لغة وذهول . على حين
راح هو يحل قيودها فى هدوء .

عاد يربّت على ظهرها في حنان ، وهو يقول :

— لا عليك يا عزيزتى .. من حسن الحظ أن ذلك الوغد قد استخدم مسدسى ، وليس مسدسه هو .

سالت الدموع من عيني (قدرى) ، أمام ذلك المشهد العاطفى ، ثم لم يلبث أن غمغم في صوت متحشرج :

— ألن تحلّ قيودى ؟

التفت إليه (أدهم) ، وهو يتسم قائلاً في مزح :

— بالتأكيد يا صديقى البدين .. أراهن أن الانفعال قد أصابك بحالة من الجوع الشديد .

ابتسم (قدرى) ، وهو يغمغم :

— أنت على حق .

جففت (منى) دموعها ، وهى تهتف :

— سأعدّ لك وجبة رائعة ، احتفالاً بنجاتنا ونجاة (أدهم) ، و

قاطعها (أدهم) في حزم :

— ليس الآن يا (منى) .. إننا نحتاج إلى تحرك بالغ السرعة هذه المرة .

سألته في اهتمام :

— هل ستلقى القبض على (إيل) ؟

ابتسم في غموض ، وهو يقول :

— ليس بعد .. إن الاعترافات التى أدلى بها هذا الوغد أماننا ، تكفى لإثبات إدانته ، والإيقاع به ، ولكنتى أهدف إلى نصر أعظم .

واختلط غموض ابتسامته بالسخرية ، وهو يُزِدُّف :

— أهدف إلى توجيه ضربة قاسية لـ (الموساد) .

هتف به (قدرى) و (منى) ، في آن واحد :

— كيف ؟

أجابهما في هدوء :

— سنحلّ قيود صديقنا (قدرى) أولاً ، ثم أخبركما كيف ..

وكان من الواضح أنه ينوى خوض جولة جديدة ..

جولة حاسمة ..

٢ — البرقية ..

قطعت تلك البرقية الشفرة ، التي أرسلها (إيلي كوهين) إلى رؤسائه ، رحلة طويلة للغاية ، على الرغم من أن تلك الرحلة لم تستغرق أكثر من نصف الساعة ، بفضل وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة ، في عصرنا هذا ..

فلقد أرسل (إيلي) البرقية من مكتبه ، في شركة (مراد غالب) ، إلى فرع الشركة في (باريس) ، حيث استقبلها أحد عملاء (الموساد) ، وأبرق بها إلى شركة صغيرة لصيد الأسماك في (أثينا) ، فأرسلتها تلك الشركة الصغيرة إلى فرعها في (تل أبيب) ، ومنه حملها مندوب خاص ، على وجه السرعة ، إلى بناية قديمة في شارع (بن جوريون) ، يحيط بمدخلها متجران صغيران متالكان ، لبيع مواد البقالة ..

ولم يكد ذلك المندوب الخاص يصعد إلى الطابق الثالث من البناية ، حتى استقبله رجل نحيل متجهّم ، التقط منه البرقية ، ودلف بها إلى حجرة جانبية ، ثم لم يلبث أن اندفع منها

في هفة وانفعال ، وركض عبر الممر الطويل ، إلى حجرة في نهايته ، دقّ بابها في حماس ، ثم دفع بابها ، واندفع داخلها ، وهو يتف :

— لقد أرسل (إيلي) برقية بالغة الخطورة ياسيدي .

لم يكن ذلك المني سوى الإدارة الرئيسية لـ (الموساد) ، أما الجالس داخل تلك الحجرة الأخيرة ، فكان مدير (الموساد) شخصياً ، ولقد رفع هذا الأخير رأسه في حركة حادة ، تشفّ عن الاهتمام البالغ ، وهو يسأل الرجل :

— وما وجه خطورتها بالضبط ؟

ناولوه الرجل البرقية ، بعد أن حلّ قسم الشفرة كلماتها ، وقال :

— اقرأها بنفسك ياسيدي .

تناول منه مدير (الموساد) البرقية ، وألصقت عيناه ، وهو يقرأ كلماتها ، مغمغماً :

— من (إيلي كوهين) إلى الإدارة العامة .. حدث تطوّر مفاجئ في العملية ، وتدخل رجل الخبايا المصرية الشيطان ، المعروف باسم (أدهم صبرى) .. ولقد تمّ إقصاؤه من الطريق ، وقتله .. في انتظار أوامر أخرى .

راح مدير (الموساد) يقرأ البرقية مرة تلو الأخرى ، في دهشة بالغة ، ثم تهللت أساريره ، وهو يهتف :
— قتل (أدهم صبرى) ؟ .. إنها برقية بالغة الخطورة بالفعل .

تردّد الرجل الواقف أمامه لحظات ، قبل أن يفهم :
— سيّد .. لقد تلقينا عشرات البرقيات المشابهة من قبل ، وكل منها تبشّرنا بالقضاء على ذلك الشيطان المصرى ، ولكن إحداها لم تكن صحيحة أبداً ، وأخشى أن
قاطع مدير (الموساد) في انفعال :

— ولكن (إيل) أرسل هذه البرقية من (مصر) ، ومن المستحيل أن يرسلها من موطن ذلك الشيطان ، ما لم يكن والثقا من كل حرف فيها .

غمغم الرجل في قلق :

— أو يكون قد أُخبر على إرسالها ياسيّد .

عقد مدير (الموساد) حاجبيه في قلق واضح ، وهو يقول :

— أثنى أنه قد وقع ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً في بطاء ، فازداد انعقاد حاجبيه

مدير (الموساد) ، وتراجع في مقعده ، وراح يحك ذقنه بسبّابه في قلق ، وهو يدرس هذا الاحتمال المفاجئ ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول في حزم :
— هناك وسيلة للتأكد من ذلك .

ثم أزدف ، وهو ينهض في صرامة :

— أرسيل برقية عاجلة إلى (إيل) ، واطلب منه الحضور إلى هنا بنفسه ، مع ما يثبت قتله لـ (أدهم صبرى) .
وعاد يعقد حاجبيه ، وهو يستطرد في توكر :

— لو أنهم أوقعوا به ، وكشفوا شخصيته ، فمن المستحيل أن يسمحوا له بمغادرة (القاهرة) ، والعوذة إلينا .. أليس كذلك ؟

اجتمع الرجل في ثقة ، وهو يقول :

— هذا صحيح ياسيّد .. إنها الطريقة المثلى للتأكد من مصرع ذلك الشيطان المصرى ، (أدهم صبرى) .

ارتسم مزيج من الدهشة والغضب على وجه (إيل كوهين) ، عندما استجاب لرنين باب شقته في الساعة صباحاً ، وفوجئ به (توفيق شاهين) أمامه ، بوجهه المغطى

بالضما دات ، بعد قتاله السابق مع (أدهم صبرى) ، فهتف به فى حنق :

— ما الذى أتى بك إلى هنا أيها الغيى ؟

دلف (توفيق) إلى مسكنه فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه ، وهو يقول فى انفعال :

— كان لابد لى من أن ألتقى بك ، ولقد منعتى من الذهاب إلى مكتبك فى الشركة .

صاح (إيل) فى جِدَّة :

— قدومك إلى هنا أيضًا بالغ الخطورة ، فلا ينبغي أبدا أن يعلم أى مخلوق بعلاقتنا ، أو اتصالنا .

هتف (توفيق) فى توثر :

— وماذا عن ذلك الرجل (أدهم صبرى) ؟.. لقد هاجمنى فى متجرى ، وحطمت وجهى كما ترى ، ولكنى حافظت على سرك ، ولم أخبره أنك إمبراطور شبكة المخدرات .

جذبه (إيل) من سترته فى عنف ، وهو يهتف به فى غضب :

— أيها الغيى .. إياك أن تذكر ذلك مرة أخرى ، وإلا قطعت لسانك من منبته .

تخلص (توفيق) من قبضته ، وتراجع فى جِدَّة ، وهو يهتف :

— ولم لا ؟.. ألسن الإمبراطور الحقيقى للشبكة ؟..

ألسن تحظى بكل الحماية والسرية وحذك ؟

هتف به (إيل) فى غضب :

— بلى .. ولكن هذا لمصلحة الجميع .

صاح (توفيق) فى جِدَّة :

— كيف !؟.. لقد كشف (أدهم صبرى) هذا سرنا ،

ويمكنه أن يوقع لى ، على حين تبقى أنت خارج نطاق الشبهات .

أشعل (إيل) سيجارته فى عصيَّة ، وهو يقول :

— دغك من (أدهم صبرى) هذا .. لقد انتهى أمره .

حدق (توفيق) فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم فى

انفعال :

— هل .. هل تخلصت منه ؟

أجابه (إيل) فى صرامة :

— نعم .. لقد قتلته بنفسى أمس .

غمغم (توفيق) فى دُھول :

— قتلته !؟

وعلى الرغم من تولُّره ، ارتسمت على شفتى (إيل)
ابتسامة مَرهُوَّة ، وهو يقول :

— نعم .. أنا فعلت ما عجز عنه الآخرون .

تنفَّس (توفيق) الصُّغْداء ، وألقى جسده فوق أقرب
المقاعد إليه ، وهو يتنفَّس في ارتياح :

— حسنًا .. هذا يدلُّل الأمور كثيرًا .

نفث (إيل) دُخان سيجارته في عصيَّة ، وهو يسأله :

— قُلْ لي الآن ، لماذا خاطرت بالقُدوم إلى منزلى ؟

اعتدل (توفيق) فوق مقعده ، وهو يقول في صرامة مفاجئة :

— لقد أتيت ؛ لأننى توصَّلت إلى معلومة جديدة بالغة
الخطورة .

سأله (إيل) في تولُّر :

— أيَّة معلومة ؟

رمقه (توفيق) بنظرة طويلة صامته صارمة ، قبل أن يقول

في ببطء :

— إنك لست (خالد رشوان) .

انتفض جسده (إيل) في قوَّة ، وشحَّب وجهه ،

وازدادت لهجته عصيَّة ، وهو يقول :

— أىَّ هُراء هذا ؟

أجابه (توفيق) في صرامة :

— نعم .. إنك لست (خالد رشوان) الحقيقى .. إننى

أتحرَّى حقيقة أمرك منذ فترة طويلة ، ولقد أدهشنى أنه لم تكن

هناك بادرة واحدة ، في حياة (خالد رشوان) ، تجعل من

الممكن أن يتحوَّل هكذا فجأة ، إلى زعيم أكبر شبكة مخدرات

في (مصر) كلها .

حدَّجه (إيل) بنظرة عصيَّة ، وهو يقول :

— وماذا بعد ؟

هزَّ (توفيق) كتفيه ، وهو يقول :

— تذكرت تلك المعلومات ، التى كنت تطالبنا بجمعها ،

وتلك الشخصيات الهامة ، التى كنت نحثنا على دفعها إلى

الإدمان ، حتى ولو منحناها اختلار دون مقابل ، وقادتنى كل

تلك الملاحظات إلى حقيقة هامة ، وهى أنك

انعقد حاجباه ، وبدت لهجته بطيئة عميقة ، وهو يتابع :

— جاسوس .

مرَّة أخرى انتفض جسده (إيل) في قوَّة ، وحدَّق في وجه

(توفيق) في عصيَّة بالغة ، قبل أن يغمغم في سَخَط شديد :

— يبدو أنك أذكى مما كنت أتوقَّع يا (توفيق) .

أجاب (توفيق) في صرامة :

— صحيح أننى لم أتلقَّ التعليم الكافى يامسِّد (خالد) ، أو
يامن كنت ، ولكننى لست غيبًا .

هتف (إيل) في غضب :

— بل أنت كذلك .

وفجأة ، التقط من جيب سترته مسدسًا ، صوّبه إلى رأس
(توفيق) ، الذى ابتسم قائلاً في هدوء :

— بل لست كذلك أيها الإمبراطور ، فزوجتى تنتظرنى
الآن فى مكان ما ، ومعها عطايا يحوى كل ما جمعه عنك من
معلومات ، ولقد أمرتها بتسليمه فورًا إلى المخابرات العامة ، لو
لم أَعُد إليها سالمًا .

عقد (إيل) حاجبيه ، وخفض فؤوه مسدسه ، وهو
يغمغم فى عصبية وتوتر :

— يبدو أنك أذكى مما كنت أتوقع بالفعل يا (توفيق) ..
ماذا تريد بالضبط ؟

تألقت عينا (توفيق) ، وهو يقول فى لهفة :

— من يتعاملون بالجاسوسية ، يتلقَّون أجورًا باهظة ..
أليس كذلك ؟

حدَّق (إيل) فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

— أجور ؟!

ثم انفجر فجأة ضاحكًا على نحو هستيرى ، وهو يهتف :

— أهذا هو كل ما تسعى إليه ؟ .. المال ؟

هتف (توفيق) فى جشع واضح :

— بالطبع .. أليس هذا هو ما تسعى إليه كلنا ؟

أطلق (إيل) ضحكة عالية أخرى ، وانجبه نحو (توفيق) ،

وربَّت على كفه فى قوَّة ، وهو يهتف :

— لا بأس يا (توفيق) .. سنلعب بأوراق مكشوفة ،

وستحصل على ما تسعى إليه ، بعد غودنى .

عقد (توفيق) حاجبيه ، وهو يغمغم فى شك :

— عودتك ؟! .. إلى أين ستذهب ؟

استعاد (إيل) لهجته الصارمة ، وهو يقول :

— اسمع يا (توفيق) ، مادامنا سنلعب بأوراق مكشوفة ،

ومادمت لا تعترض على العمل بالجاسوسية ، مقابل أجر

باهظ ، فلتعلم أن أوَّل دروس اللعبة هو ألا تكتر من الأسئلة ،

وأن تطيع الأوامر فقط .

غمغم (توفيق) فى طاعة :

— نعم يامسِّد .. سأفعل .

ابتسم (إيل) في ظفر ، وأخرج من جيب سترته برفقة ،
 أشعل فيها النيران بقداحه ، وهو يقول في حزم :
 — لقد استدعوني في القيادة يا (توفيق) ، وحينئذ أعود ،
 سأكون بالتأكيد أكثر قوة ونفوذاً .. وسينعكس هذا عليك ..
 إننى رجل ظافر يا (توفيق) .

وانطلقت من أعماقه ضحكة ظافرة عالية ، وهو يداعب
 رماد البرقية المحترقة ، ويستعد للذهاب إلى (تل أبيب)
 مباشرة ..



ابتسم (إيل) في ظفر ، وأخرج من جيب
 سترته برفقة ، أشعل فيها النيران بقداحه .

٣ - الرّحلة ..

عقد وزير الداخلية حاجيه في شدة ، وهو يستمع إلى (أدهم صبرى) في انتباه ، ثم قال في حزم :

— ولكن لماذا نسمح له بالسفر ، ومغادرة البلاد أيها الملقّم ، مادامنا نملك ما يكفل لنا إيداعه ، وإلقاء القبض عليه ؟ أجابه (أدهم) في اهتمام :

— لأننا بذلك نريح أكثر ياسيدى .

هتف وزير الداخلية في صرامة :

— ماذا نريح ؟ .. إننا سنريح فقط لو أوقفنا به ، وهذا الرّيح مضمون ، مادام داخل البلاد ، ولكن لو أننا سمحنا له بالخروج ، فقد لا يعود إلينا أبداً .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في ثقة :

— بل سيعود ياسيدى .. بإذن الله .

صمت وزير الداخلية ، وهو يتفرّس في ملامح (أدهم) في استكبار ، ثم مال نحوه ، قائلاً في جدّة :

— اسمع أيها الملقّم .. لقد وافقت على انتدابك في مباحث أمن الدولة ، نظراً لتاريخك المشرف في عالم محاربة الجريمة ، ولكن هذا التاريخ نفسه يؤكد أنك عنيد ، صعب المراس ، نصيرٌ ذوّماً على تحقيق انتصاراتك على نحوٍ مسرحيٍّ معقّد ، ولو أنك سألتني رأيي في ذلك ، فلتعلم أنني أراك مصاباً بعقدة العظّمة ، وبهستيريا التفوّق ، ولن أخاطر بفشل عملية مضمونة النجاح ، مجرد إشباع تلك الميول الاستعراضية في أعماقك .

بدا الضيق على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

— صدّقنى ياسيدى .. لست أسعى إلى شيء من ذلك على الإطلاق ، بل أهدف إلى تحقيق نصرٍ كامل ، وطبقاً لخطة محدودة .

قرأ (أدهم) في عيني وزير الداخلية علامات الشك ، فأزّدف في تأكيد :

— نعم ياسيدى الوزير .. لقد توقّفت مع نفسى طويلاً ، بعد ما حدث ليلة أمس ، وراجعت كل تصرفاتي في الآونة الأخيرة ، واعترفت — والاعتراف بالحق فضيلة — أنني كنت أتصرّف على نحوٍ غير لائق ، لفترة طويلة ، وأنى كنت

مكابراً، عنيدا طوال الوقت ، ولقد أشعرتني هذا باستياء شديد ، فالقوضى تبدأ حينما يتحدث حمة القانون قانونهم ، الذى يقاتلون للحفاظ عليه .

غمغم وزير الداخلية فى دهشة :

— أنت تقول ذلك ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم ياسيدى .. أنا أقول ذلك ، فالإصرار على الخطأ

أشبع من الخطأ نفسه .

شبك وزير الداخلية أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو

يغمغم :

— عجباً !!!

اجسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وقال :

— إننى ضابط مخبرات محترف ياسيدى ، ولقد عودتني

مهتتى أن أقاتل ذوماً ، سعيًا وراء نصر كامل ، وخلف توجيه

ضربات مُحكَّمة للخصم ، تُزعزع ثقته بنفسه ، وتلقى به فى

دوامة من المرارة والخيرة ، وهذا ما أسمى إليه بخطتى ، التى

حدثتك عنها منذ لحظات .

ازداد انعقاد حاجبى وزير الداخلية ، وهو يفكر فى عمق ،

ثم تنهَّد ، مغمغمًا :

— إنها مخاطرة شديدة أيها المقدم ، ولكن

طال صمته وتفكيره بعض الوقت ، قبل أن يعتدل ، مردفًا

فى حزم :

— لا بأس .. إننى أوافق على خطتك ، بالتسليم مع إدارة

المخابرات .

وتضاعف الحزم فى نبراته ، وهو يستطرد :

— نقد خطتك أيها المقدم (أدهم صبرى) .. على بركة

الله .

اقتصت إجراءات الأمن ، الشبعة فى عالم المخابرات ، أن

تطول رحلة (إيلي كوهين) كثيرًا ، من (القاهرة) إلى (تل

أبيب) ، فقد استقل أولًا الطائرة من (القاهرة) إلى

(باريس) ، حيث أبدل جواز سفره المصرى ، الذى يحمل

اسم (خالد رشوان) ، بجواز سفر لبنانى ، يحمل اسم

(كميل حوران) ، وصورته هو ، واستخدم ذلك الجواز

للسفر إلى (أثينا) ، وهناك توجه إلى السفارة التابعة لدولته ،

وحصل منها على جواز سفر دبلوماسى ، يحمل اسمه الحقيقى ،

(إيلي كوهين) ، وتأشيرة خاصة ، تتيح له إنهاء كل

الإجراءات في سرعة ، وتضمن عدم التعرض له ، مهما كانت الأسباب ، ثم توجه نحو فندق من فنادق الدرجة الأولى ، ذات الخمسة نجوم ، واستأجر جناحاً كاملاً ليقضى فيه ليلته ، قبل أن يستقل الطائرة المتجهة إلى (تل أبيب) في الصباح التالي ..
وفي الثامنة والنصف صباحاً ، بتوقيت (أثينا) ، كانت الطائرة تحلق نحو (تل أبيب) ، وعلى مقعد الدرجة الأولى ، الذى يحمل الرقم (تسعة) ، كان يجلس (إيلي كوهين) ..
وفي الحادية عشرة تماماً ، هبطت الطائرة في مطار (تل أبيب) ، وغادر (إيلي) المطار في خطوات ثابتة هادئة ، حيث استقبله رجلان بابتسامة واسعة ، وهتف أحدهم ، وهو يفتح له باب سيارة بيضاء أنيقة :

— مرحباً بعودتك ياسيد (إيلي) .. إن الإدارة كلها تنتظر قدومك بفارغ الصبر .

ارتسمت ابتسامة ظافرة مزهوة على شفتى (إيلي) ، وهو يذلف إلى المقعد الخلفى للسيارة ، قائلاً في غطرسة :

— هذا طبيعى .. لقد حققت ما كانوا يحلمون به منذ زمن .

دلف الرجلان إلى المقعدين الأماميين للسيارة ، وانطلق سائقها بها ، وهو يسأله في شغف :

— هل قضيت حقاً على (أدهم صبرى) ؟

اتسعت ابتسامة (إيلي) المزهوة ، وهو يقول :
— ألدبك شك في هذا ؟ ..

ابتسم الرجل في فرح ، وهو يقول :

— كلاً ياسيد (إيلي) .. الجميع هنا يعترفون بتفوقك .

لم ينس أحدهم بينت شقة ، بعد هذا الحوار القصير ، والسيارة تقطع بهم شوارع (تل أبيب) ، حتى شارع (بن جوريون) ، حيث توقفت أمام ذلك المبنى العتيق ، وغادرها (إيلي) ، وهو يحمل نفس ابتسامته المزهوة ، وغبر بوابة مبنى (الموساد) في خطوات واسعة محتالة ، واستقبله رجال (الموساد) بالهتاف والترحاب ، وصافحوه في حرارة ، وهم يثثونه بالقضاء على أشرس خصومهم في المخابرات المصرية ، وتلقى هو تهنيئهم في برود وغطرسة ، وهو يلوح بكفه قائلاً :

— الأمر لا يستحق كل هذا .. لم تكن النتائج لتغير كثيراً ، لو أننى التقيت بذلك الشيطان المصرى منذ البداية .

أصابعهم برودة وغطرسته بالذهشة والإحباط ، وهمس أحدهم في أذن زميله :

— أيدو لك (إيلي) طبعياً ؟

سأله زميله في دهشة :

— ماذا تعني ؟

أجابه في شك :

— إنه يبدو لي مختلفًا .

اختلس زميله النظر إلى (إيل) في حسد ، وهو يغمغم :

— هذا طبعي .. إنها نشوة الظفر .

مطّ الأول شفتيه ، وهو يغمغم :

— ربّما .. ولكنه يبدو لي مختلفا على نحو كبير .

لم يكن هذا رأى مدير (الموساد) ، الذي استقبل (إيل)

في مكتبه بالترحاب ، وبابتسامة واسعة ، وصافحه في حرارة

بالغة ، وهو يقول :

— مرحبًا يا عزيزي (إيل) .. إن عودتك إلينا هي خير

دليل ، على نجاحك في القضاء على ذلك الشيطان المصري .

ابتسم (إيل) ، وهو يقول :

— لقد كان القضاء عليه أكثر سهولة من سحق حشرة

بجذء ثقيل يأسىدى .

ألست ابتسامة مدير (الموساد) ، وهو يقول ضاحكًا :

— لا داعي للمبالغة يا عزيزي (إيل) ، فهذا يقلل من

حجم انتصارك العظيم .

وأشار إليه بالجلوس ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويسأله في

هفة واهتمام :

— إنك تملك الدليل على مصرع ذلك الشيطان المصري ..

أليس كذلك ؟

أجابه (إيل) في زهو :

— بلى .. بالتأكيد يأسىدى .

ثم التقط من جيبه صورة فوتوغرافية ملوثة ، قدمها إلى

مدير (الموساد) ، الذي اختطفها من يده في هفة ، وخفق

قلبه في انفعال ، وهو يتطلع إليها ، وإلى وجه (أدهم)

الواضح فيها ، والدماء تسيل من جبهته إلى وجهه ، وهتف :

— هل أطلقت عليه النار ؟

أجابه (إيل) ، وهو يلوح بكفه في فخر :

— على جبهته مباشرة .

أغلق مدير المخابرات عينيه ، وكأنما يحاول السيطرة على

انفعاله الشديد ، وصمت طويلاً وهو يتشبّث بحافة مكتبه في

قوة ، ثم لم يلبث جسده أن استرخى ، وعادت الابتسامة إلى

ثغره ، وهو يفتح عينيه ، قائلاً :

— إنها مناسبة تستحق الاحتفال يا (إيل) .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وفتح خزانة صغيرة ، التقط منها زجاجة من الخمر الفاخر ، وكأسين من البلور ، وضع إحداهما أمام (إيلي) ، وصب فيها بعض الخمر ، ثم صب البعض الآخر في كأسه ، ورفعها أمامه ، هاتفا في مرج :
— نخب القضاء على أشترس خصوم (الموساد) غبر التاريخ .

القط (إيلي) كأسه في تراخ ، ومس بها شففيه ، ثم أعادها ، وهو يقول :

— إن القضاء على (أدهم صبرى) لم يم دون خسائر ياسيدى .

عقد مدير (الموساد) حاجيه ، وهو يسأله في قلق :
— أية خسائر ؟

أجاب (إيلي) في ضيق :

— لقد أتلّف القائمة ، التى تحوى أسماء كل رجال شبكة المخدرات فى (مصر) .

ابتسم مدير (الموساد) ، وهو يقول :

— إنها خسائر طفيفة يا (إيلي) .. إننا نمتلك نسخة كاملة من تلك القائمة ، ويمكنك أن تحصل على مثلها فوراً .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وقال فى حزم :
— (زاين) .. أحضرنى لى نسخة كاملة من شبكة (القاهرة) .

لم تمض لحظات حتى أحضر (زاين) النسخة المطلوبة ، فتناولها (إيلي) ، وطواها ، ودسها فى جيبه ، على نحو يوجى باللامبالاة ، وهو يقول :

— نقطة أخرى ياسيدى .. لقد كشف (توفيق شاهين) حقيقة شخصيتى .

اتسعت عينا مدير (الموساد) فى دُعر ، وهو يهتف :

— كيف ؟ إنه أمر بالغ الخطورة يا (إيلي) .

هز (إيلي) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

— ليس إلى هذا الحد ياسيدى ، إنه سيعمل لحسابنا .

عقد مدير (الموساد) حاجيه فى توتر ، وهو يقول :

— هذا لا ينفى خطورة الأمر يا (إيلي) ، فالخطر — كل

الخطر — أن نتحول إلى مجال الجاسوسية الصريحة ، فهذا يزيد من حجم المخاطرة .

مط (إيلي) شففيه ، وهو يقول :

— لسا نملك سوى ذلك ياسيدى ، فلقد احتاط ذلك

الوعد تمامًا ، بحيث بات التخلّص منه يكفى لكشف الشبكة كلها .

جلس مدير (الموساد) خلف مكتبه ، وراح يفكر في عمق ، قبل أن يغمغم في قلق :

— هناك وسيلة للتخلّص منه بالتأكيد ، دون كشف الأمر .

غمغم (إيل) في شك :

— لست أظن ذلك يأسدى .

ابتسم مدير (الموساد) في ثقة ، وهو يقول :

— لا يوجد شخص يصعب التخلّص منه ، وأنت نفسك أثبت ذلك ، حينما قضيت على (أدهم صبرى) ، مثلما قضيت أنا على والده من قبل .

اتسعت عينا (إيل) ، وهو يتف في ذهول :

— أنت ؟

اتسعت ابتسامة مدير (الموساد) ، وتراجع في مقعده في زهو ، وهو يقول بلهجة تحمل كل الفخر :

— نعم .. أنا قتل والد (أدهم صبرى) .. أنا حامل هذا الشرف ، و

وتر عبارته ، وسرت قشعريرة باردة في جسده ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يتطلّع إلى عيني (إيل) ، اللتين برقتا بهريق مخيف ..

بهريق يحمل بغض وكرهية العالم كله ..

بل الكون كله ..



٤ - الشك ..

رُعب هائل ذلك الذى ملأ قلب مدير (الموساد) ، وهو يتطلع إلى عيني (إيلي كوهين) ..

رُعب رهيب ، لم يستغرق سوى لحظات ، تلاشى بعدها بريق البغض من عيني (إيلي) ، وحل محله بريق آخر مخيف ، تراقص مع كلمات هذا الأخير ، وهو يغمغم فى بضع :
— إذن فهو أنت ؟

مضت فترة من الصمت ، ومدير (الموساد) يحدّق فى عيني (إيلي) فى توتر بالغ ، قبل أن يغمغم فى خفوت :
— لقد كان ذلك منذ ما يزيد قليلاً على العشرين عامًا ..
تلاشى بريق عيني (إيلي) ، وهو يقول فى هدوء :
— نعم .. أعلم ذلك .

خدجه مدير (الموساد) بنظرة تجمع بين الدهشة والرؤية ، فى صمت ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يقول :
— غداً إلى منزلك يا (إيلي) ، حتى نقرّر ما إذا كنت ستعود إلى (القاهرة) أم تبقى هنا .



وسّرت فتشيرة باردة فى جسده ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وهو يتطلع إلى عيني (إيلي) ، اللتين برقنا ببريق مخيف .

نهض (إيلي) ، وهو يقول :

— إنني أفضل العودة إلى (القاهرة) ياسيدي ،

فأكون أكثر فاعلية هناك ، و

قاطع مدير (الموساد) في حزم :

— سندرس ذلك .

وأشار إليه بالانصراف ، فاتجه (إيلي) نحو باب المكتب ،

ثم توقف ، والتفت إلى مدير (الموساد) ، مغمغماً :

— كنت أتوقع مكافأة .

تطلع إليه مدير (الموساد) لحظة في صمت ، ثم غمغم :

— بالتأكيد .

وبدا صوته صارماً ، جافاً ، وهو يزدف :

— ستحصل على ما سيدهشك .

ابتسم (إيلي) ، وغادر المكتب ، وأغلق الباب خلفه في

هدوء ، على حين ظلَّ مدير (الموساد) صامتاً ، يعقد حاجبيه

في شكٍّ وريبة ، وقد استقرَّ بصره على الكأس الممتلئة ، التي لم

يقربها (إيلي) ، ثم اعتدل فجأةً ، وضغط زرَّ جهاز الاتصال

الداخلي ، وهو يقول في حزم :

— (زايون) .. تعال إلى مكنتي على الفور .

فرغ إليه (زايون) ، وقد استشفَّ من لهجه خطورة

الأمر ، وسأله في قلق :

— ماذا تريد ياسيدي ؟

أشار مدير (الموساد) إلى كأس (إيلي) ، وهو يقول :

— لخذ هذه الكأس ، ولكن التقطها في جرس ، واذهب

بها إلى مكتب فحص البصمات ، واطلب من الرجال هناك

مقارنة ما عليها من بصمات ، ببصمات (إيلي كوهين) ،

وبكل ما لدينا من بصمات ، في حالة عدم مطابقتها لبصمات

(إيلي) .

عقد (زايون) حاجبيه في دهشة ، وهو يلتقط الكأس في

خذر ، مغمغماً :

— كما تأمر ياسيدي .

قال مدير (الموساد) في تولُّر :

— مُر بعض الرجال أيضاً بتعقب كل تحركات (إيلي) ،

وتسجيلها لحظوةً لحظوةً ، وأدرج اسمه في قوائم المنوعين من

مغادرة (تل أبيب) ، لحين صدور أوامر أخرى .

لم يحتمل (زايون) كل هذا القدر من الدهشة ، فهتف في

خيرة :

— ولكن لماذا ياسيدي ؟

عقد مدير (الموساد) حاجيه ، وهو يقول في حزم :
— إننى أشك في أن هذا الرجل ليس (إيلى كوهين) .
اتسعت عينا (زا يون) في دهشة بالغة ، وتدلت أفكـه
السفلى في ذهول ، قبل أن يتف :

— مستحيل يا سيدي !!.. إننا نحفظ جميعاً ملامح (إيلى) ،
ولا يمكن أن نخطئ أذنانا صوته ولهجته .
أجابه مدير (الموساد) في صرامة :

— كل هذا يمكن تقليده ، ولاتس أنه يتحل شخصية
رجل آخر منذ سنوات ، ولم يكشف أمره حتى الآن .
هز (زا يون) رأسه في خيرة ، وغمغم :

— ولكن (إيلى) قطع الرحلة كلها ، من (القاهرة) إلى
هنا دون خطأ واحد ، ومسار الرحلة بالغ السريّة ، ولن
يعترف به (إيلى) أبداً ، حتى ولو كانوا قد ألقوا القبض عليه
في (القاهرة) ، و.....

ازداد انعقاد حاجي مدير (الموساد) ، وهو يقول في
صرامة :

— كل هذا صحيح ، ولكننى أكاد أكون واثقاً من أن هذا
الرجل ، الذى غادر مكبى منذ لحظات ، ليس (إيلى
كوهين) الذى نعرفه .

واستعادت ذاكرته نظرات الكراهية والبغض ، التى
أطلت من عيني (إيلى) ، وعاودته تلك القشغريّة الباردة ،
وهو يستطرد :

— ليس هو أبداً .

غادر (إيلى كوهين) مبنى (الموساد) ، في شارع
(بن جوربون) ، وراح يقطع شوارع (تل أبيب) على
قدميه ، في خطوات سريعة ، متخذاً عدّة مسارات متشابهة
معقّدة ، ثم دلف إلى أحد الأحياء القديمة ، التى تزخر بالتاجر
العربية ، وتقدّم نحو متجر صغير لبيع العطور ، وراح يستعرض
بضاعته في تراخ ، قبل أن يسأل صاحبه بالعربية :

— ألا أجد لديك عطرًا خاصاً ، يصلح كهديّة فريدة ؟
رمقه صاحب المتجر بنظرة طويلة ، قبل أن يشرح بوجهه ،
مغمغماً :

— أهي مناسبة خاصّة ؟

أوماً (إيلى) برأسه إيجاباً ، وقال في هدوء :

— بالتأكيد .. إنها مناسبة خاصّة وسريّة .

عاد الرجل يرمقه بنظرة طويلة ، ثم سأله :

— أحتاج إلى عطر ذى رائحة نفاذة ؟

أجاب (إيل) في هدوء :

— بل إلى عطر بلا رائحة على الإطلاق .

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة خافتة ، تلاشت في سرعة ، وهو يشير إلى داخل متجره ، قائلاً :

— عندى ما يلزمك فى الداخل .

ثم قاد (إيل) إلى داخل المتجر ، وهو يستطرد فى حماس :

— إن متجرى يحوى ما لا يخطر ببالك .

وتحرك خلف صوان ضخم ، وتبعه (إيل) فى هدوء ..

وفجأة ، وفى حركة سريعة ، دفع صاحب المتجر جزءاً من

حائط متجره ، فدار حول مخوره ، كاشفاً عن باب سري ،

غبره (إيل) فى سرعة ، وابتسم ملقياً تحية خافتة على شاب

عربى ، يملك قوامه نفسه ، ويرتدى حلة مماثلة لحلته تماماً ،

فبادله الشاب تحيته فى سرعة ، وغبر الباب السرى فى الاتجاه

المضاد ، ووقف يتحدث مع صاحب المتجر ، مؤملاً ظهوره

لباب المتجر .

وعلى الرغم من أن ملامح الشاب العربى كانت تختلف كثيراً

عن ملامح (إيل) ، إلا أن ظهوره كان يشبه ظهور هذا الأخير

تماماً ، وهو يتحدث مع صاحب المتجر ، الذى راح يعرض

عليه بضاعته فى حماس ، وكأنما يواصل حديثه مع (إيل)
نفسه ..

أمّا (إيل) ، فقد أغلق الباب السرى خلفه ، وصافح
رجلاً عربياً ، يجلس أمام جهاز لاسلكى كبير ، وهو يقول
بلهجة مصرىة خالصة :

— كيف حالك يا صديقى ؟

ابتسم العربى ، وصافحه فى حرارة ، قائلاً :

— مازلت حياً والحمد لله .. مرحباً بك بيننا .. لقد تلقينا

رسالة (القاهرة) ، ونحن ننتظرك منذ الصباح .. أنا بالذات

أنتظرك فى هفة ، إذ أتوق للقائك منذ زمن طويل بآسادة

المقدم (أدهم) .

ابتسم (أدهم) ، الذى يتحل شخصية (إيل كوهين) ،

وهو يغمغم :

— شكراً يا صديقى .

ثم التقط من جيبه تلك القائمة ، التى تحوى أسماء كل أفراد

شبكة المخدرات ، ودفعها نحو الرجل ، قائلاً :

— أرسل هذه إلى (القاهرة) ، على الفور ، وقُلْ لهم أن

يبدؤوا التنفيذ .

تناول العربي القائمة ، وهو يقول في إعجاب :
— تمامًا مثلما ذكروا عنك يا سيادة المقلم .. إنك تم
عملك في سرعة وإتقان ..
شرد بصر (أدهم) لحظة ، وهو يغمغم :
— أتعتشم ذلك .

بدأ العربي في إرسال القائمة لاسلكيًا إلى (القاهرة) ، على
حين ظل (أدهم) صائمًا لحظات ، ثم اتجه نحو الباب السري ،
وطرقه في هدوء ، ثم فتحه في خذر ، وأشار إلى الشاب
العربي ، الذي يرتدي حلة مشابهة لحلته ، فاتجه الشاب نحو
الباب السري ، وكأنه يستعرض مزيجًا من أصناف العطور ،
ودلف عبر الباب السري ، على حين غادره (أدهم) ،
والنقط زجاجة عطر ، وهو يقول لصاحب المتجر في صوت
(إيلي كوهين) :

— حسنًا .. سأخذ هذه .
التقطها منه صاحب المتجر ، وهو يتسم ابتسامة واسعة ،
هائلًا في صوت مرتفع :
— لن تندم على اختيارك أبدًا يا سيدي .
وتظاهر بأنه يقلق زجاجة العطر ببعض الورق المزركش ،
وهو يستطرد في صوت خافت :

— هذه الزجاجة لن تناسبك .. إن (راشيل) زوجة
(إيلي) تفضل عطر (شانييل — ١٩) ، ولقد أعددت لك .
وانحنى وكأنه يلتقط شيئًا ملوثًا ، وأبدل الزجاجة بأخرى
من ذلك النوع ، الذي يروق لنزوجة (إيلي كوهين) ، وناولها
ل (أدهم) ، صائحًا في صوت يسمعه الجميع :
— إن متجري يرحب بك في أية لحظة يا سيدي .
وقاده إلى خارج المتجر ، وهو يستطرد هامسًا ، دون أن
تفارق ابتسامته شففيه :
— كنّ على خذر ، فهناك رجلان يراقبان متجري ، منذ
دلفت أنت إليه .

ظلت ملاح (أدهم) هادئة ، وهو يقول :
— إذن فهم يستريون في أمري !!
أجابه صاحب المتجر في حزم :
— يبدو ذلك .. وهذه بادرة خطر .. إذا كنت قد أتممت
مهمتك ، فغادر المكان كله ، وغد إلى (القاهرة) ، قبل
فوات الأوان .

أجابه (أدهم) في صرامة :
— مستحيل يا صديقي .. إن أمامي مهمة أخرى ،
انتظرت ما يقرب من عمري كله ، لأتهيئها على نحو لائق .

وبدا صوته مُخيفاً رهيباً ، وهو يستطرد في حزم وصرامة :
 — مهمة خاصة .. خاصة جداً .
 وتردد في رأسه صوت مدير (الموساد) ، وهو يقول في
 فخر وتبجح :
 — نعم .. أنا قتلت والد (أدهم صبرى) .. أنا حامل
 هذا الشرف .
 وبكراهية وبغض لا مثيل لهما ، غمغم (أدهم) :
 — ستدفع ثمن ذلك أيها الوغد .. ستدفع الثمن ، ولو
 كان هذا آخر ما أفعله في حياتي كلها .. ستدفع الثمن ..



وقاده إلى خارج المتجر ، وهو يستطرد هامساً ، دون أن تفارق إبهامته شفاهه .

٥ - بركان الانتقام ..

تملأت أسارير (راشيل) زوجة (إيل كوهين) ، حينما رأت (آدم) ، الذى يحمل وجه زوجها ، وهو يدلف إلى المنزل ، فأسرعت إليه وهى تهتف :
— (إيل) !.. يا لها من مفاجأة !!.. كم تسعدنى عودتك يا عزيزى !!

أرادت أن تعانقه فى حرارة ، إلا أنه أوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى جفاء :

— ليس الآن يا (راشيل) .. إننى مرهق للغاية ، وأحتاج إلى بعض الراحة أولاً .

تطلعت إليه فى دهشة ، إزاء موقفه الجاف معها ، عل الرغم من أنها لم يلتقيا منذ سبعة أشهر ، فعقدت حاجبيها ، وهى تقول فى غضب :

— ماذا أصابك ؟.. هل تزوجت قاهرة ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

— ليس بعد .

ثم دفع إليها زجاجة عطرها المفضل ، وهو يستطرد :
— هذه لك .

فصت غلاف الزجاجاة ، وتأملتها فى برود ، ثم ألقتها جانباً ، وهى تغمغم فى خنق :

— من حسن الحظ أنك مازلت تذكر عطرى المفضل .
ابتسم ، وهو يقول :

— نعم .. من حسن الحظ .

مالت نحوه ، وهى تهتف فى جدّة :

— ماذا أصابك ؟.. إنك تبدو لى مختلفاً .

أجابها فى عشونة :

— قلت لك إننى مرهق للغاية .

ثم نهض ليتوجّه إلى حجرة نوم (إيل) ، فجذبته إليها فى عنف ، وهى تهتف فى جدّة :

— انتظر .

وأحاطت وجهه بكفئتها ، وهى تستطرد فى مزاراة :

— ألم تعد تحببى ؟.. ألم ؟

استعت عيناها بفتة فى دُغر وذُهل ، وأبعدت كفئتها عن وجهه بحركة حاذة ، وكأنما صعبها تيار كهربى ، وهى تهتف :

— هذه ليست بشرتك ... إنك لست زوجى ... من أنت ؟

وتحوّل هتافها إلى صرخة رُغب ، وهى تستطرد :
— من أنت ؟ ..

عقد مدير (الموساد) حاجيه ، وهو يستمع إلى تقرير الرجلين ، اللذين تعقبا (أدهم) حتى منزل (إيل) ، ثم قال فى جِدّة :

— فقط ؟! هل ابتاع زجاجة عطر فقط ؟

أجابه أحد الرجلين فى تأكيد :

— نعم ياسيدى ، وبعدها عاد إلى منزله مباشرة .

سأله مدير (الموساد) فى اهتمام :

— وما نوع زجاجة العطر ؟

أجابه الرجل الآخر :

— (شانييل — ١٩) ياسيدى .

مطّ مدير (الموساد) شفّيته ، وهو يغمغم :

— نفس العطر الذى تستخدمه زوجته (راشيل) ..

عجباً !!

لم يكذب يَتَمّ عبارته ، حتى طرق أحدهم باب حجرتة ، فاستطرد فى جِدّة :

— ادخل .

دلف مساعده (زايون) إلى الحجرة ، وهو يقول فى اهتمام :

— لقد انتهى الرجال من فحص البصمات ياسيدى .

هتف به فى هفّة :

— وما النتيجة التى توصلوا إليها ؟

أجابه (زايون) فى ارتياح :

— إنها بصمات (إيل) ياسيدى .

عقد مدير (الموساد) حاجيه فى شِدّة ، وهو يغمغم :

— عجباً !! عجباً !!

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفّتي (زايون) ، وهو يقول :

— يبدو أن شكوكنا لم تكن فى محلّها ياسيدى .

حدّجه مدير (الموساد) بنظرة طويلة خاوية ، ثم نهض من

خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذته ، ووقف يتطلّع منها طويلاً ،

وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، واحترم الجميع صمته ، فراح

على الحجرة صمت تام ، قبل أن يلتفت هو إلى (زايون) ،
ويسأله بغثة في انفعال :

— كم تستغرق لشراء زجاجة من عطر زوجتك المفضل ؟
أجابه (زايون) في دهشة :

— ما يكفي من الوقت لطلبها ، وإحضار البائع لها ، ودفع ثمنها .

هتف مدير (الموساد) ، وقد تضاعف انفعاله :
— هذا يعني أنك ستطلبها مباشرة ، ولننقذ البائع ثمنها ، ثم
نحملها ونصرف .. أليس كذلك ؟

غمغم (زايون) في خيرة :
— هذا صحيح .

دق مدير (الموساد) سطح مكتبه بقبضته في قوة ، وهو
يهتف :

— لماذا استغرق (إيل) إذن كل هذا الوقت ؟ .. ولماذا
استعرض كل الأنواع ، مادام يعلم مُسبقًا نوع العطر ، الذي
تفضله زوجته ؟

اتسعت عينا (زايون) في توغر ، ثم غمغم في تحقوت :
— ربما فضل شراء نوع أفضل ، أو

قاطعه مدير (الموساد) في انفعال :

— كلاً يا (زايون) .. ليس هذا بالتفسير المُقنع .
ثم استدار إلى الرجلين الآخرين ، هاتفاً في حزم وصرامة :
— تجلّوا ما يلزمكم من رجال ، واتصموا متجر العطور
هذا ، وحطّموا كل ركن فيه إذا ما لزم الأمر ، لمعرفة ما يخفيه
ذلك المكان المُريب .

وعاد يضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطرداً في غضب :
— سأكشف هذا اللغز ، أو أترك هذا المقعد لغيري .. إلى
الأبد .

قاومت (راشيل) في شراسة نيمرة مُفترسة ، بعد أن كمّم
(أدهم) فمها ، وراح يقيّد معصمها وقدميها في إحكام ،
حتى انتهى ، فنهض واقفاً ، وابتمس في سخرية ، وهو يقول :
— أهنتك .. لقد كنت أكثر براعة من الجميع .. أنت
وحدك كشفت أنني لست (إيل) .

صدرت من قمها المكتم مهمة غاضبة ، فاستطرد في
هدوء :

— يؤسفني أنك لن ترين زوجك البوغد بعد ذلك أبداً ،
فهو الآن في قبضتنا ، وسيدلّى عمّا قريب من حبل المشنقة .

قاومت في عنف ، وهي تتابع همهمات الغاضبة ، فأزْدَف
في أسف :

— صَدَّقْنِي بِإِنِّي أَشْعُرُ بِالْأَسْفِ ، لِأَنِّي سَأَحْرِمُ زَوْجَةً
مَحَبَّةً مِثْلَكَ مِنْ زَوْجِهَا ، وَلَكِنْ زَوْجَكَ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ ، فَهُوَ
وَعْدُ زَيْنٍ ، يَحْصُلُ عَلَى دَخْلِهِ فِي مَقَابِلِ نَشْرِ السُّمُومِ بَيْنَ بَنِي
وَطْنِي ، وَمَنْ الْمُسْتَحِيلُ أَنْ نَغْفِرَ لَهُ ذَلِكَ .

استكانت في ألم ، وراحت الدموع تُثَهِّمُ مِنْ عَيْنِهَا فِي
غَزَاةٍ ، فَأَشَاحَ (أَدْهَمَ) بِوَجْهِهِ ، وَغَادَرَ حَجَرَتَهَا فِي هَدْوٍ ،
وَزَفَرَ فِي عَمَقٍ ، وَهُوَ يَغْمِغِمُ :

— بِالْبِشَاعَةِ هَذَا الْعَالَمُ !!

وجلس فوق مقعد قريب ، وأسند رأسه إلى مسند المقعد ،
وراح — لِلْمَرْءِ الْأَلْفُ — يَسْتَرْجِعُ عِبَارَةَ مَدِيرِ (الْمَوْسَادِ) :
— نَعَمْ .. أَنَا قَتَلْتُ وَالِدَ (أَدْهَمَ صَبْرِي) .. أَنَا حَامِلُ
هَذَا الشَّرَفِ .

ومن أعماقه تصاعد مزيج من الْبُغْضِ وَالْمَقْتِ وَالْكِرَاهِيَةِ .
لقد عثر أخيرًا على ذلك الشخص ، الَّذِي قَتَلَ — مِنْذُ
مَا يَزِيدُ عَلَى الْعَشْرِينَ عَامًا — الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ لَهُ الْفَضْلُ الْأَوَّلُ
فِي كَوْنِهِ (رَجُلُ الْمُسْتَحِيلِ) ..

عثر عليه حقًا ، بعد أن تصوَّرَ في عملية سابقة ، أَنَّهُ قَدْ انْتَقَمَ
لِوَالِدِهِ (*) .

ومن أعماق قلبه ، راحتِ الْذِكْرِيَّاتُ تَتَدَفَّقُ فِي
رَأْسِهِ ..

ذكريات علاقته بِوَالِدِهِ ، وَإِصْرَارِ هَذَا الْأَخِيرِ — رَحِمَهُ
اللَّهُ — عَلَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُ أَقْوَى رَجُلٍ مَخَابِرَاتٍ فِي الْعَالَمِ ، مِنْذُ كَانَ
هُوَ فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ عُمُرِهِ (**) .

ومن كل خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَاهُ ، تَدَفَّقَتْ حُمَمُ الْغَضَبِ ..
انفجر بركان الانتقام في أعماقه قُوًيًا هَادِرًا ..
كل ذُرَّةٍ فِي كِيَانِهِ رَاحَتْ تَطَالِبُ بِالشَّأْرِ ، وَتَسْعَى
لِلْإِنْتِقَامِ ..

وفي صوت يحمل كراهية الْعَالَمِ كُلِّهِ ، وَيُبْغِضُ الدُّنْيَا كُلَّهَا ،
وحزم وصرامة الْكُونِ بِأَكْمَلِهِ ، غَمِغَمَ (أَدْهَمَ) :
— سَيَدْفَعُ الثَّمَنَ .. سَيَدْفَعُ هَذَا الْوَعْدَ الثَّمَنَ .
وعاد بركان الانتقام ينفجر في أعماقه ..

* * *

(*) راجع قصة (الصياب القاتل) .. المغامرة رقم (٢٤) .

(**) راجع قصة (ملائكة الجميع) .. المغامرة رقم (٦١) .

ارتسم مزيج من القلق والتوتر في عيون الجميع ، في الحى
التجارى العربى ، في قلب (تل أبيب) ، حينما عبرته واحدة
من سيارات الجيش الضخمة ، الزاخرة بالجنود ، وتوقفت
أمام متجر العطور الصغير ، وهبط منها الجنود في شراسة
واضحة ، واندفعوا نحو المتجر ، الذى صاح صاحبه في
استكار :

— ماذا حدث ؟... إننى مواطن مسالم ، أسدّد الضرائب
في النظام ، و

أخبرته ضربة قوية عنيفة من كعب بندقية آلية ، حطمت
فكّه ، وألقته فاقد الوعى ، فوطئته أقدام الجنود ، وهم
يقحمون المتجر ، ويحطمون كل ما يصادفهم ، وتضاعدت
في الحى رائحة قوية ، هى مزيج من أفخم وأرق العطور ،
وأشبع وأقذر الأساليب ..

وارتفع صوت (زايون) ، وهو يتف في هجة آمرة :
— حطّموا كل شيء .. نهبوا الجُذران ، أو اهدموا المبني
كلّه إذا ما لزم الأمر .

وهنا هتف أحد الجنود :

— هناك باب سرّى خلف هذا الصّوان .

هتف بعارته ، وهو يدفع الباب السرى في قوّة ، فتصاعد
دوى طلقات مدفع آلى ، أطاحت بالجندي ، واندفع من
الحجرة السرى فدائيان فلسطينيان ، أمطرا الجنود بالبران ،
وأمطرهما الجنود بالرصاصات ، وساد المرح والفرح في الحى
التجارى العربى ، وراح الجميع يتدافعون للفرار ، وسقط
سبعة من الجنود ، قبل أن يسقط الفدائي الأول صريعا ، ثم
سقط جنديان آخران ، قبل أن يعجز الفدائي الثانى عن مواصلة
إطلاق النار ، بعد أن تحوّل جسده إلى مصفأة ، من كثرة
ما اخترقه من رصاصات ، فصاح قبل أن يهوى جثة هامدة :

— سينتقم لنا المقدّم (أدهم) .. سينتقم لنا .

ساد الهدوء التام ، بعد أن لقي الفدائي الثانى مصرعه ،
والسعت عينا (زايون) في دُغر ودُحول ، وهو يردّد في
ارتياح :

— المقدّم (أدهم) ؟ ربّاه !! إن الشيطان حى .. حى ..

* * *

٦- في قلب اللهب ..

حى ؟!

نطق مدير (الموساد) بتلك العبارة في ذُهور ، وهو يهوى فوق مقعده ، واتسعت عيناه ، وجحظتا في شدة ، حتى حُيل لـ (زايون) أنهما سيفقران من محجريهما ، وهو يغمغم في مرارة :

— هذا هو التفسير الوحيد ياسيدى ، فلقد عثرنا في تلك الحجرة السرية ، الملحقة بمتجر العطور ، على قائمة أفراد شبكة (القاهرة) ، التى حصل عليها (إيل) ، وعلى جهاز إرسال قوى ، من ذلك النوع الذى يصعب تعقب موجهاته .
عاد مدير (الموساد) يردّد في ذُهور :

— حى ؟! ...

وخفت صوته في انبهار ، وهو يستطرد :
— إذن فقد كان خصمنا اللدود هنا .. في مكبى ..
وبكل الجزأة والتبجح !!

واكتشف الهلع ملامحه وصوته ، وهو يُزدّف في ارتياح :

— وأنا اعترفت له بأننى قاتل والده .

أجابه (زايون) في حزم غاضب :

— لن يفلت مثا هذه المرأة ياسيدى .. لقد بالغ في استهتاره وتحديّ لـنا هذه المرأة ، ووضع نفسه بنفسه بين أيدينا ، ولن نسمح له بالخروج من دولتنا حياً أبداً .

انتفض مدير (الموساد) ، وهتف في جدة :

— وماذا تنتظر ؟! مَرّ رجالك باقتحام منزل (إيل) ، وانسفه إذا ما لزم الأمر ، ولكن عُدْ إلى بجنة ذلك الشيطان المصرى .

تردّد (زايون) لحظة ، ثم غمغم في خنق :

— معذرة ياسيدى .. إننى لم أنتظر أوامرك في هذا الشأن .. لقد بادرت ، فور سماعى لعبارة ذلك المخرب العربى ، بمهاجمة منزل (إيل) .

هتف به مدير (الموساد) ، في صوت متحشرج من شدة الانفعال :

— وماذا حدث ؟

عقد (زايون) حاجبيه في غضب ، وهو يحجب :

— لم يكن هناك .. لقد عثرنا على (راخيل) ، مقيدة
داخل حجرها ، وعلى قناع مطاطي رقيق ، يحمل وجه
(إيل) ، ولكننا لم نعثر على أدنى أثر لذلك الشيطان المصري .
اتسعت عيننا مدير (الموساد) في دُعر ، وهو يتف :
— كيف ؟! وماذا عن الرجال : الذين كانوا يراقبون
المنزل ؟

أجابه (زايون) في خنق :
— لقد كانت الأوامر ، الصادرة إليهم ، تقتضي مراقبة
(إيل كوهين) وتعقبه ياسيدي ، وهو يقيم — كما تعلم — في
بناية ضخمة ، ولا ريب أن ذلك الشيطان المصري قد غادر
البنية ، وهو متكرر في هيئة جديدة ، بعد أن نزع قناع
(إيل) ، فلم يخطر ببال رجالنا أن يتعقبوه .
صاح مدير (الموساد) في غضب :
— الأغبياء .

ثم تراجع في هلع ، مستطردًا :
— ولكن هذا يغني أنه حرٌّ طليق ، وأنه لن يبدأ حتى ينتقم
منى .

شعر (زايون) بالخنق ، إزاء عجز رئيسه عن إخفاء
خوفه الشديد ، فقال في توثر :

— لن نسمح له بذلك ياسيدي .. سنتخذ كل الإجراءات
لنحصد ذلك .

هتف مدير (الموساد) في توثر :
— نعم .. اتخذوا كل مايلزم من الإجراءات .. أعلنوا
حالة الطوارئ ، اعتقلوا كل من تشبهون في أمره ، أطلقوا
النار على كل من يقاوم ، أو يحاول الهرب .
ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطردًا في عصبية :
— وسأعتصم أنا بمنزلي ، وسأحيطه بكل الحراسة
اللازمة .

زفر (زايون) في خنق ، وهو يقول :
— افعل مايجلوك ياسيدي ، أمّا نحن ، فسنفعل
المستحيل ، لنعتقل ذلك الشيطان المصري .
وسرت في صوته نبرة خشنة ، وهو يُردف في صرامة :
— سيندم على سخريته بنا هذه المرة .. لقد اقتحم قلب
اللهب ، فليحترق به إذن .

أوقف التاجر الفلسطيني (أبو عياد) سيّارته
(الجيب) ، أمام منزل عربي صغير من طابقين ، وهبط منها في

هدوء ، وطرق باب المنزل ، وسأل الفتاة التي استجابت
لندائه في اهتمام :

— أهو هنا ؟

أجابته في انفعال واضح :

— نعم إنه ينتظرك

دلف إلى المنزل ، وأغلق بابه خلفه في إحكام ، ثم توجه نحو
حجرة جانبية ، وتطلع إلى كهل أشيب ، يجلس مغمى الظهر ،
والتجاعيد تملأ وجهه المعجوز ، وسأله في خيرة :

— أهو أنت ؟

ابتسم الكهل ابتسامة ساخرة ، تعارض في تألقها
وحيويتها مع ملامحه المتحفة ، وقال في صوت يشف عن
نشاط وفير :

— نعم .. هو أنا .

استعت عينا (أى عياد) ، وهو يجلس إلى جواره ، هاتفا
في مزيج من الدهشة والإعجاب :

— رباه !!.. أنت عبقرى في التكر حقا ، كما يتأقلمون

عك .

تجاهل (أدهم) هذا الإطراء ، وهو يقول في اهتمام :



ثم توجه نحو حجرة جانبية ، وتطلع إلى كهل أشيب ، يجلس مغمى الظهر .

— هل جمعت لى ما أريد من معلومات ، عن محل إقامة ذلك الحقيقى ؟

عقد (أبو عياد) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— أتقصد مدير (الموساد) ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة تحمل بعضاً من كراهيته للرجل :

— ومن أقصد غيره ؟

ازداد انعقاد حاجبى (أبى عياد) ، وزفر فى عمق ، قبل

أن يسأل (أدهم) فى توتر :

— ماذا تريد منه ؟.. لقد أبلغنا (القاهرة) أنك قد

أتممت مهمتك بنجاح ، فلماذا تصرُّ على البقاء هنا ؟

شرد (أدهم) بصره ، وهو يقول فى صرامة :

— مازالت أمامى مهمة أخرى ، لن أغفر لنفسي أبداً ،

لو تقاعست عن أدائها .

هتف (أبو عياد) فى استكبار :

— إذن فهو ثار شخصى .

أجابه (أدهم) فى حزم :

— هو ذاك .

تنهَّد (أبو عياد) ، وهو يتطلَّع إليه طويلاً ، قبل أن يقول

فى حنان أبوى :

— لا تستسلم لشرعة الغابة يا ولدى .. لا تجعل ثورة

الانتقام تحجب عن عينيك حقيقة دورك فى الدنيا .

هتف (أدهم) فى جدَّة :

— هل تطالبنى بترك قاتل أبى ؟

صاح به (أبو عياد) فى صرامة :

— نعم .. إننى أطالبك بنسيان أى ثار شخصى ، لأن

دورك الحقيقى فى هذه الحياة ، هو أن تناضل من أجل

وطنك .. من أجل قضاياه وأمنه ، لا من أجل نفسك .

غمغم (أدهم) فى حزم :

— فاقد الشيء لا يعطيه يا عمَّاه .. لن أقاتل من أجل وطنى

فى حماس ، ما لم أنه قضايائى الشخصية أولاً .

قال (أبو عياد) ، فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

— ولكنك تعرِّض نفسك لخطر بالغ يا ولدى .. هل تعلم

ماذا يغييه اسمك هنا ؟.. لقد صرت أسطورة .. أمل فى التحرُّر

من ظلم هؤلاء الأوغاد وطغيانهم .. ومصرعك فى أرضنا

سيقتل ذلك الأمل فى القلوب .. رمز المقاومة الدائبة

المستعينة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— لا تبالغ هكذا يا عمّاه .. إننى لا أستحق كل هذا
الشاء .

هتف (أبو عياد) فى حرارة :

— ولكنك كذلك بالفعل يا ولدى .

أجابه (أدهم) فى حزم :

— لذا فمن الضروري أن أنتقم .

ثم التفت إليه ، مستطرداً فى صرامة :

— لو أننى انتصرت ، فسأكون قد حققت هدفين بضربة
واحدة يا عمّاه .. سأنتقم من قاتل أبى ، وأحطّم زعيم
(الموساد) أمام الجميع ، وهذا سيحطّ من تلك الأسطورة
الزائفة ، التى يسجها (الموساد) حول نفسه ، وسيشعل
الحماس فى قلوب الجميع .

غمغم (أبو عياد) فى مرارة :

— وماذا لو فشلت ؟

صمت (أدهم) طويلاً ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

— لن أفشل بإذن الله يا عمّاه .

ثم استطرد فى سرعة ، قبل أن يعترض (أبو عياد) :

— والآن ، ماذا لديك من معلومات عن منزل ذلك

الوغد ؟

تنهّد (أبو عياد) فى استسلام ، وقال :

— الكثير .

ثم أردف فى توتر :

— إنه يقيم فى حصن .

وفرد أمام عيني (أدهم) ورقة كبيرة ، تحوى رسماً

للمنزل ، وهو يستطرد :

— إن منزله قبلاً من طابقين ، تحيط بها حديقة كبيرة

يحرسها عشرة رجال مسلحين بالمدافع الآلية ، وتنتهى بسور

مرتفع ، يصل ارتفاعه إلى ستة أمتار ، وينتهى من أعلى بسور

آخر من الأسلاك الشائكة ، يسرى فيه تيار كهربى عنيف ،

والسور مزوّد بآلات تصوير تليفزيونية ، تنقل إلى داخل القبلاً

كل ما يحدث خارج الأسوار ، ويتابع عملها خمسة رجال

محترفين ، يتبادلون مراقبتها ، طيلة الأربع والعشرين ساعة ،

ولقد اقلع رجال (الموساد) كل شجرة ، أو نبتة تحيط بأسوار

القبلاً ، بحيث باتت المنطقة كلها جرداء ، يستحيل أن تتسلّل

حشرة واحدة إليها ، دون أن تكشفها آلات التصوير .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— إن ذلك الوغد يقيم فى حصن بالفعل .

ثم نهض في هدوء ، وغرَّك في أرجاء الحجره مفكرًا في عمق ، حتى توقَّف بغتة ، وسأل (أبا عيَّاد) في اهتمام :
— وماذا عن طبيعة المنطقة المحيطة بالقيلا ؟

أجابته (أبو عيَّاد) في يأس :

— أكثر وعورة .. فلقد بُنيت القيلا في منطقة ذات طبيعة خاصة ، بحيث يعلو جبل ضخم إلى يمينها ، وينحدر منحدر شديد الوغورة على يسارها ، وتمتد منطقة جرداء حولها ، وأمامها وخلفها ، كما شرحت لك الآن .

تألَّقت عينا (أدهم) ، وهو يتسم ، قائلًا في هدوء :
— عظيم .

ثم وضع يده على كتف (أبي عيَّاد) ، واستطرد في حسم :
— لقد عثرت على الوسيلة ياعمَّاه ، والليلة سأقتحم حصن الثعلب .

وشرد ببصره ، وهو يردف في صرامة وعزم :

— وسأنتقم لأني ، ولكل من راحوا ضحية ذلك الوغد ..
بإذن الله .

٧ — حصن الثعلب ..

هتفت زوجة مدير (الموساد) في حنق ، وهي تتطَّلع إلى زوجها ، الذي بدا شديد الهلع والتوتر في تلك الليلة :
— ماذا أصابك ؟. إنك ترتجف كفأر غادر مصرقًا للمياه على الثور ، ويتنظر انقضاء القِطْ عليه لالتهامه .. إننى لم أرك قطُّ على هذا النحو .

هتف بها في خشونة عصبية :

— إليك عنى .. لن أحتمل انتقاداتك السخيفة الليلة .
صاحت في جِدَّة :

— ماذا حدث ؟. .. إننا نقيم في حصن حصين كما تعلم ..
حتى أنا أجد صعوبة في الدخول والخروج ، فكيف تصوِّر أن يصل إليك ذلك المصرى ؟

خدجها بنظرة ساخطة غاضبة ، وهو يقول في عصبية :
— ذلك المصرى ، الذى تتحدَّثين عنه ، ليس رجلًا عاديًا .. إنه شيطان حقيقى .

هفتت في سخرية لاذعة :

— وماذا عنك أنت ؟ .. ألسنت زعيم شياطين دولتنا ؟
عاد يرمقها بتلك النظرة الساخطة الغاضبة ، ثم اتجه نحو
مكتبه ، وضغط زر جهاز الاتصال الداخلي ، وسأل رجال
المراقبة في توثر :

— كيف الأحوال ؟

أجابه أحدهم في هدوء واحترام :

— كل شيء على ما يرام ياسيدى .. اطمئن ، ما من جُرْد
يمكنه الاقتراب من هنا ، دون أن تلتقطه آلات التصوير .
سأله مدير (الموساد) في توثر :

— هل تعانيون أية مشاكل ، بسبب غياب القمر هذه
الليلة ؟

أجابه الرجل في هدوء :

— على الإطلاق ياسيدى .. إن آلات التصوير تعمل
بالأشعة دون الحمراء ، ولا يغرقها الظلام أبدا .

تنهَّد مدير (الموساد) في ارتياح ، وأنهى الاتصال ، على
حين قالت زوجته في سخرية :

— هل تشعر الآن بالاطمئنان ؟

عقد حاجبه ، وهو يحجبها في خفق :

— إلى حد ما .

هزت رأسها في أسف ، وهي تتحسر على ما أصاب زوجها
وقالت :

— حسنا .. هيا نأوى إلى فراشنا ، لقد تجاوزت الساعة
متصف الليل .

أجابها في توثر :

— لست أظن أنه سيمكننى أن أحظى بالنوم هذه الليلة .
صاحت به في غضب :

— ماذا أصابك حقا ؟ .. لقد كنت أكثر شجاعة فيما
مضى .. ألم تكن أحد قادة حملة (دير يس) ؟ ..

هتف في حدة :

— لقد صيرت كيهلا ، ثم إننا لم تكن يواجه سوى الأطفال
والنساء والشيوخ في (دير يس) .

غمغمت في سخرية :

— بالشجاعة !

فأص به الكيل ، فصاح في وجهها مُخْتَلِفاً :

— كفى عن سخريتك هذه .. قللت لك إننى لن أحمل .

ابتسمت في هدوء ، ورثت على كتفه ، وهي تقول :
 — حسنًا يا عزيزي .. هيا نأوى إلى فراشنا ، فأنت شديد
 التوتر هذه الليلة ، وربما يعيد إليك النوم بعض هدوئك .
 تنهد في توتر ، وهو يغمغم :
 — نعم .. أنت على حق .
 صعدا معًا إلى حجرة نومهما ، وقالت هي عند باب
 الحجرة :
 — أراهنك أنك ستذهب في سبات عميق على الفور .
 غمغم في توتر :
 — لست أتوقع ذلك .
 ضحكت ، وهي تدفع باب الحجرة ، وتضغط زر
 الإنارة ، قائلة :
 — هذا ما تنظنه ، ولكنك ما إن تشاهد فراشنا الوثير ،
 حتى تبدل كل الأمور ، و
 بترت عبارتها فجأة ، وحوّلتها إلى شهقة زعب ، انتقلت
 إلى قلب زوجها ، الذي ارتجف في دُعر هائل ، وفقد ما تبقى له
 من أعصاب ، وهو يحذق في الفراش في رُعب ..
 لقد تبدلت كل الأمور حقًا ، حينما وقع بصرهما على
 الفراش ..

فهناك .. فوق الفراش الوثير ، تمّدد (أدهم صبرى) ، في
 قميص وسروال جالكي السواد ، وهو يتسم في سخرية
 وهدوء ، ويصوب إليهما فؤوه مسدس قوى ، مزود بكاتم
 للصوت ، وهو يقول :
 — أنت على حق يا سيدي ، ستبدل كل الأمور ، خذار
 أن ينس أحدهما بحرف واحد ، أدخلنا إلى الحجرة في هدوء ،
 وأغلقت الباب خلفكما في إحكام ، وإلا اخترقت رصاصاتي
 رأسيكما في صمت وهدوء .
 امتنع وجه مدير (الموساد) وزوجه في شدة ، وغمغم
 هو في مزيج من الانبهار والارتياح :
 — كيف ؟ .. كيف وصلت إلى هنا ؟
 اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وشملها بعض الغموض ، وهو
 يقول في سخرية :
 — حاول أنت أن تستنج .. إنه لفرز جدير بك ، يا شيطان
 الشياطين .. حاول .

* * *

بدا (أبو عياد) شديد التوتر والعصبية في تلك الليلة ،

وهو يدور في زُدْهَة منزله كاللَّيْث الجريح ، ويتطَّلَع كل دقيقة
إلى ساعته ، ثم يزفر في قُوَّة ، فسألته ابنته (زينب) في قلق :

— هل تظن أنه سينجح يا أُنَى ؟

زفر للمرأة الألف ، وقال في توَلَّر :

— أتعشَّم ذلك يا بِنْتِي .. أتعشَّم ذلك .

سألته في اهتمام :

— ولكن كيف سيدخل إلى حصن الثعلب ؟ .. لقد اكَّد

الجميع أن هذا مستحيل .

هزَّ (أبو عِيَاد) رأسه وهو يقول :

— لقد وجد وسيلة رائعة يا بِنْتِي ، تجمع بين البساطة

والعبقريَّة .. إن هذا الشاب يستحق ما يقال عنه بالفعل .. إنه

ذكيٌّ ، جريءٌ ، شجاعٌ ، جسورٌ ، بمقدام .. إنه عشرات

الأبطال في جسد واحد .

التبَّت باللَّهفة والفضول ، وهي تسأله :

— وما تلك الوسيلة يا أُنَى ؟

خففت اتسامة باهتة من التوَلَّر الشديد ، الذي يملأ كل

خَلْجَة من خَلْجَات وجهه ، وهو يغمغم :



— وسيلة بسيطة ، لم تخطر ببال عباقرة الأمن في
(الموساد) .. لقد ذهب إلى هناك بواسطة خفّاش طائر (*)

« خفّاش طائر ؟ .. ! »

هتف مدير (الموساد) بتلك العبارة في تحفّوت ، وبلهجة
تجمع بين الارتياح والذهول ، وهو يحدّق في عيني (أدهم) ،
وابتسامته الساخرة ، فقال هذا الأخير في هدوء :

— نعم أيها الوغد .. إنك لم تترك لي سوى هذا
الأسلوب ، فلقد أحطت قبْلُك بكل وسائل الأمن والحراسة
الممكنة ، ولكنك تجاهلت السماء ، على الرغم من وجود جبل
مرتفع إلى يمين الثيّلا ، وبكل بساطة ، تسلّقت أنا هذا الجبل ،
من الجانب الآخر ، واستخدمت خفّاشا طائرا ، مطليا باللون
الأسود ، وأنا أرتدى زيا أسود اللون كما ترى ، ومع غياب
القمر ، وسهولة التحكّم في الخفّاش الطائر ، وبعض الهدوء

(*) الخفّاش الطائر : نوع من الطائرات البسيطة ، بلا محرك ، عبارة
عن جناحين متصلين ، على هيئة خفّاش من القماش ، تربطهما عدة قوام
معدنية . ويمكن للفرد واحد استخدامها في الطيران المنفرد ، شريطة أن
يسيطر بها من مكان مرتفع .

والصمت أمكنني الهبوط على سطح الثيّلا ، حيث لم تعترضني
أيّة حراسة على الإطلاق ، فهبطت لأنتظره هنا ، وهانحن
أولاء نلتقى .

انهار مدير (الموساد) تماما ، مع بساطة الفكرة
وفاعليتها ، وهو يغمغم :

— ولكن كيف فعلت كل هذا ؟ .. هل أجبرت (إيلي)
على الاعتراف ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيا ، وهو يقول :

— إنني لم أحاول ، فلقد كنت والثقا من أنه لن يعترف ،
كأى ضابط مخبرات محترف .

هتف مدير (الموساد) في مرارة :

— كيف توصّلت إلى مسار الرحلة السريّة إذن ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد تركت رجلكم (إيلي كوهين) يقوم برحلته
وخذه ، واكتفيت بمراقبته ، وأنا متكرّر في هيئة مسافر هنديّ
مرّة ، وآخر فرنسيّ من (باريس) إلى (أثينا) ، وبعد أن
ذهب إلى سفارتكم هناك ، وحصل على جواز سفره
الدبلوماسيّ الخاصّ ، وباتّ من الواضح أنه في طريقه إلى هنا

مباشرة ، هاجته في حجرته بالفندق ، ولقد أصيب بحالة مضحكة من الرعب والذهول ، حينما رأى أمامه حيا ، ولم يتحمل سوى لكمة واحدة ، سقط بعدها فاقد الوعي ، فقامت بعمل قناع مطابق لوجهه ، ولفاز في لون الجلد الطبيعي ، يحمل بصماته ، ثم استعرت جواز سفره ، وجئت إلى هنا ، وتركت لك بصماته عمدا فوق الكأس ؛ لأننى كنت أعلم أن الشك سيساورك بعض الوقت ، أما (إيل) الحقيقى ، فقد تكفلت زميلتى العزيزة (منى) بوضعه داخل صندوق دبلوماسى ، يحمل شعار السفارة المصرية ، حيث حملته واحدة من سيارات السفارة بعد إقلاع الطائرة إلى هنا ، وشحنه كطرد دبلوماسى على أول طائرة ذاهبة إلى (القاهرة) ، وسيحاكم هناك بتهمة الجاسوسية ، والاتجار في المخدرات ، ولقد تم الإيقاع بكل أفراد الشبكة ، بعد أن أرسلت القائمة ، التى منحتنى أنت إياها ، إلى (القاهرة) ، فبدءوا العمل فور تلقيا .

انهار مدير (الموساد) على نحو يدعو إلى الرثاء ، وسالت من عينيه دموع القهر والمرارة ، على حين قالت زوجته في لهجة ضارعة .. باكية :

— ماذا تنوى أن تفعل بنا يا مستر (أدهم) ؟

انعقد حاجبا (أدهم) في صرامة ، وهو يقول :

— ماذا تتوقعين أن أفعل ؟.. لقد قتل زوجك والذى ، منذ ما يزيد على العشرين عامًا .

هتف مدير (الموساد) في انبهار :

— الرّحة !!

صاح به (أدهم) في غضب :

— وهل تدري أنت معنى الرّحة ؟.. هل اختبرتها يوما ؟

بكت زوجة مدير (الموساد) في مرارة ، وهى تهتف :

— وما ذنبى أنا ؟.. إننى لم أقتل أحدا ..

أجابها (أدهم) في حزم :

— الزوجة تشارك زوجها مصيره ذوقا ياسيدتى ..

مغبرة .

ثم جذب إبرة مسدسه ، وتجمّدت الدماء في عروق مدير

(الموساد) وزوجته ، وهما يتحدّقان في عيني (أدهم) ، اللتين

أطلّ منهما شبح مخيف ..

شبح الموت ..

٨ — العدالة ..

لا تقتل امرأة ، أو رجلاً أعزل يا ولدى ..

لا تقتل طفلاً أو شيخاً ..

لا تقتل أبداً ، مادامت هناك وسائل أخرى للنجاة ..
الروح جنة من الخالق يا بنى ، وليس من حق المخلوق

انتزاعها ، إلا بالحق ..

لا تفعل ذلك أبداً ..

الجناء فقط يفعلون ..

الحقراء فقط يقتلون الشيوخ ، والنساء ، والأطفال ،

والغزل ..

لا تكن حقيراً أو جباناً يا (أدهم) ..

كنَ دوماً مقاتلاً شجاعاً ..

فارساً نبيلاً ..

ولا تتنازل عن تلك المبادئ مادمت حياً يا ولدى ..

لا تتنازل عنها أبداً يا (أدهم) ..

قفزت تلك الكلمات إلى رأس (أدهم) ، وانهمرت من
ذاكرته كالسيل ، وهو يصوب مسدسه إلى مدير (الموساد)
وزوجه ..

كانت كلمات والده ..

كلمات رددها كثيراً على مسامعه ، وهو يُعده للعمل في

الغارات ..

كلمات كانت لـ (أدهم) دستوراً غير مكتوب ، لم يجد

عنه مرة واحدة في حياته ..

ولحيل لـ (أدهم) أن روح أبيه تعترض الطريق ، بين قُوَّة

مسدسه ، ومدير (الموساد) وزوجه ..

وفي أعماق عقله ، وبكل خيرة قلبه ، هتف (أدهم) دون

أن يصدر عنه أدنى صوت :

— ولكنه قاتلك يا أبتاه .. إننى أفعل ذلك من أجلك .

تحيل إليه أن روح أبيه يخاطب عقله ، قائلة :

— ومن قال لك إننى أرغب في ذلك يا ولدى ؟

— إنها العدالة .

— دع العدالة لله (سبحانه وتعالى) .

— ولكنه أمرنا (سبحانه) بأن من قتل يُقتل .

— ليس حينما يكون أعزل .
 — إنهم يشنون القاتل ، وهو أعزل .
 — للعدالة رجالها يا ولدى ، ولأنا انقلب العالم إلى غابة .
 — هذا الوغد لا يعترف إلا بشرعة الغابة .
 — كل إناء ينضح بما فيه يا ولدى .
 — أهذه هي العدالة ؟
 — سئل ضميرك يا (أدهم) ، وافعل ما يحليه عليك .
 لم يدرك (أدهم) أبداً ، ما إذا كان ذلك الحوار الصامت قد دار بينه وبين روح أبيه ، أم بين عقله وضميره ..
 بين قليل ومتنقم ، أم بين غصبة ومبادئ ..
 لم يدرك أبداً ..
 ولكنه خفض قُوَّة مسدسه ..
 لقد رفضت طبيعته ، في اللحظة الحاسمة ، أن يستسلم
 لشرعية الغابة ..
 رفضت أن تنتزع آدميته ، وتحيله إلى وحش كاسر ،
 يفترس امرأة وكهلاً أعزل ..
 وبكل ما تتوج به نفسه من انفعالات ، هتف (أدهم) :
 — أغرب عن وجهي أيها الحقير .. غادر القيلأ كلها ،
 فاستفجر بعد عشر دقائق فحسب .

لم يصدق مدير (الموساد) أذنيه ، وراح مع زوجته
 يحذقان في وجه (أدهم) في دُفُول ، ثم تراجعاً إلى بطن ، حتى
 فتحا باب الحجرة ، وهنا اندفعت الزوجة تغدو في رُعب ،
 وهي تصرخ :

— الشيطان المصرى هنا .. النجدة !! النجدة !!
 وعلى الرغم من عنف المفاجأة ، انتزع رجال الحراسة
 العشرة ، ورجال المراقبة الخمسة ، أنفسهم من مراكزهم ،
 واندفع الجميع نحو مصدر الصراخ ..
 وبدأت معركة (أدهم) الرهيبة ..
 في قلب حصن الثعلب ..

تطلّع (أبو عياد) إلى ساعته في قلق ، ثم التفت إلى ابنته
 (زينب) ، قائلاً في حزم :
 — هل أعددت كل شيء ؟
 أومات برأسها إيجاباً ، وهي تشير إلى حقيبة صغيرة :
 — نعم .. كل شيء .
 زفر في توتر ، وخفق قلبه في قلق ، قبل أن يحسم قراره ،
 قائلاً :

— هيا إذن .. مستلقين بـ (أدهم) حيث اتفقنا .

حملت الحقيبة، واتجهت إلى الخارج، وهى تغمغم فى توثر:

— هذا إذا كان على قيد الحياة .

رئت أبوها على كنفها فى حنان ، وهو يقول :

— فلنأمل أن يكون كذلك يا بنيتى .

وقف يراقبها وهى تدير محرك سيارة أنيقة ، من طراز

فاخر ، وقال قبل أن تنطلق بها :

— حذار يا بنيتى .. سيكون المناخ شديد التأثير هذه

الليلة .

ابتسمت (زينب) فى هدوء ، وهى تقول :

— على بركة الله يا أبى .

ارتسمت على شفاهه ابتسامة حانية قلقة ، وهو يغمغم :

— نعم يا بنيتى .. على بركة الله .

ركض مدير (الموساد) عبر الممر الطويل ، الذى يضم

حجرة نومه ، وهو يصرخ خلف زوجته :

— التبعة يا رجال !! التبعة !!

وتجاهل (أدهم) صراخ الرجل تمامًا ، وهو يندفع خارج

حجرة النوم ، ويغذو نحو الطريق الموصل إلى سطح الفيلا ،

حيث ترك خفافشه الطائر ، وسمع من خلفه صوت زوجة مدير

(الموساد) ، وهى تهتف بالرجال ، الذين اقتحموا الفيلا

بمدافعهم الآلية :

— سيحاول الفرار من السطح .. الحقوا به قبل أن

يفعل .

وصاح مدير (الموساد) :

— نعم .. الحقوا به قبل أن

لم يم عيارته ، فقد تعثر فجأة ، وهو يقفز السلم هابطاً ،

فتهاوى جسده ، وتدحرج فوق درجات السلم ، حتى سقط

فاقد الوعي أسفله ، ولم تلتفت إليه زوجته ، وهى تغذو خارج

الفيلا ، على حين أسرع نحوه ثلاثة من رجاله ، يحاولون

إسعافه ، واندفع أربعة آخرون يصعدون فى درجات السلم

للحقاق بـ (أدهم) ، على حين أحاط الباقون بالفيلا من

الخارج ، وشهروا مدافعهم الرشاشة فى تحفر ..

وكان الطريق الوحيد ، الذى يقود إلى سطح الفيلا ، يمر عبر

سلم مكشوف ، خارج الفيلا ، فغمغم (أدهم) فى سخرية :

— يبدو أن مفادرة الجحيم أكثر صعوبة من دخوله

بالفعل .

لم يكذب عيارته ، حتى انطلقت خلفه رصاصات مدافع الرجال الأربعة ، الذين لحقوا به ، فاستدار إليهم ، وأمطرهم برصاصات مسدسه في مهارة ، أسقطت اثنين منهم ، قبل أن يحتمي بقام خشبي ضخم ، إلى جوار الباب الصغير ، الذي يقود إلى سلم السطح ، وهو يردد ساخراً :

— يا لك من مغرور يا (أدهم) !... أتقتحم حصناً قنيماً بمسدس واحد ، يحوى تسع رصاصات فحسب ، ودون خزانة إضافية !؟

انهالت رصاصات الرجلين الباقيين على القام الخشبي ، فقفز (أدهم) من مكانه ، وأطلق من مسدسه رصاصتين ، أصابتا الرجلين في إحكام ، ثم غمغم وهو يتطلع إلى باب سلم السطح الصغير :

— بقيت لك خمس رصاصات يا (أدهم) ، وهناك ثمانية رجال ينتظرون اقترابك من ذلك الباب ، ليحيلوك إلى مصفاة برصاصاتهم .

دفع الباب بقدمه في قوة ، فانهالت رصاصات مدافع الرجال الثانية على الباب ، الذي تهشم تماماً ، وبعاهوى في دوي شديد ، فابتسم (أدهم) مغمغماً :



وتجاهل (أدهم) صراخ الرجل ثامناً ، وهو يندفع خارج حجرة النوم .

— يا إلهي !! لا يروق لي أبدا أن أكون في موضع ذلك

الباب .

ثم تطلع إلى ساعته ، وغغم مستطرذا في توتر :

— ولكن الانتظار سيجعل النهاية لا تختلف كثيرا ،
فالقنابل ، التي وضعها في الفيلا ، ستسفها كلها بعد أربع
دقائق فحسب .

راح عقرب الثواني يدور في سرعة مخيفة ، ويلتهم الوقت في
سيره بسرعة ، على حين وقفت زوجة مدير (الموساد) تطلع
إلى حيث يختبئ (أدهم) ، وهي ترتجف في حديقة الفيلا ،
وسمعت أحد الرجال الثانية يقول في صرامة :

— لن يفلت ذلك الشيطان المصري هذه المرة .. إنه لم
ينجح في مغادرة مخبئه منذ تسع دقائق كاملة ، وستصل
الإمدادات في سرعة ، وسنوقع به هذه المرة .

سألته زوجة مدير (الموساد) في ذهول :

— لماذا لا يقاوم ؟

أجابها الرجل في ثقة :

— لن يمكنه ذلك .. لقد وقع في الفخ ، وأطبق فكَّه عليه

تماما .

وفجأة ، تصاعد صوت (أدهم) من مكانه ، وهو

يخطف :

— حسنا .. إنني أستسلم .

ابتسم الرجال الثانية في ارتياح ، وصاح أحدهم في حزم :

— ألقي سلاحك إذن ، وغادر مكانك رافعا ذراعيك .

رأى الجميع مبدس (أدهم) يقفز غيّر باب سلّم السطح

اعظم ، ويسقط عند أقدامهم ، فصاح قائداهم في صرامة :

— والآن تقدم .

ثم التفت إلى زوجة مدير (الموساد) ، مستطرذا في

فخر :

— هل رأيت ياسيدتي ؟ إنه لم يقاوم سوى تسع دقائق

ونصف ، و

انتفض جسدها فجأة ، واتسعت عيناها في ذهول وذعر ،

وهي تصرخ في ارتياح .

— تسع دقائق ونصف ؟ .. يا إلهي ! أين زوجي ؟

أجابها الرجل في دهشة :

— اطمئني ياسيدتي .. إنه في حجرة مكتبه .. إن الزملاء

يعملون على إسعافه ، و

قاطعته صارخة في ارتياح :

— يا إلهي !!.. إن الفيلاً ستفجر كلها بعد نصف دقيقة فقط .

اتسعت عيون الرجال الثانية في دُھول ، واختلط دُھولهم بغضب وتوتر شديد ، حيناً رأوا (أدهم) يندفع فجأةً غير باب سُلم السطح اعظم ، ويحطم مصباحه الوحيد بركلة مذهشة ، ثم يصعد في درجات السُّلم قفزاً ، نحو السطح .. وصرخ أحد الرجال في توتر بالغ :

— أنقذوا المدير .. أطلقوا النار على ذلك الشيطان ..
واندفع رجلان نحو الفيلاً ، على حين فتح الستة الآخرون نيران مدافعهم نحو (أدهم) تماماً ..



٩ — من (تل أبيب) إلى (القاهرة) ..

كانت مسألة سرعة ..

لقد لجأ (أدهم) إلى خدعة شهيرة ، فامتص توتر الرجال الثانية ، بإعلانه استسلامه ، وبإلقاء مسدسه عند أقدامهم ، ثم باعثهم بفرار سريع ، وهو يقامر بسرعه على حياته .. وبكل ما يملك من سرعة ، وقوة ، وإصرار ، ومراوغة ، راح (أدهم) يقفز في درجات السُّلم الخارجى ، والرصاصات تلاحقه ، وترتطم بجدار الفيلاً حوله وخلفه ، وهو يسابق النيران ، والزمن .. والموت ..

وبقفزة أخيرة ، اعلى (أدهم) سطح الفيلاً ، واندفع نحو خفاشه الطائر ، وتعلق بقائمه الأفقى في قوّة ، ثم دفعه أمامه إلى نهاية السطح ، وزوجة مدير (الموساد) تصرخ في الحديقة :
— دُعوه يذهب بحق الشيطان ، وأنقذوا زوجى ..
أنقذوا زوجى أولاً .

ومع نهاية سطح الفيلاً ، دفع (أدهم) خفاشه الطائر في

الهواء ، وهو يتشبَّث بالقائم الأفقى فى قوَّة ، وراح يخلق مبتعدًا
عن القِيْلَا ، نحو المنحدر الشديد ، على الجانب الأيسر منها ..
ومن حديقة القِيْلَا ، صاح أحد الرجال ، وهو يشير إلى
(أدهم) فى عصيَّة :

— ها هو ذا .. لقد نجح فى الفرار .

هتف رجل آخر فى خنق ، وهو يصوب قُوَّة بندقيته ،
ذات المنظار المقرَّب نحو (أدهم) :

— ليس بعد ..

وفى دقَّة وإحكام ، وضع رأس (أدهم) عند نقطة تقاطع
الخطَّين المتعامدين فى منظاره ، مستطرًا فى مَحَط :

— لن يفلت أبدًا .

ثم ضغط الزناد ..

كان ذلك الرجل ، الذى يصوب بندقيته إلى رأس
(أدهم) ، من تلك الفئة النادرة ، التى تفخر دَوْمًا بأنها
لا تخطئ إصابة الهدف أبدًا ، ساكنًا كان أو متحرِّكًا ..
والحق يقال ، إنه لم يخطئ إصابة هدفه أبدًا ..
فيما عدا هذه المَرَّة ..

ففى نفس اللحظة ، التى بدأت فيها سبَّابه تضغط الزناد ،
انفجر حصن الثعلب ..

انفجرت القِيْلَا كلها بدوى هائل ، بلغ مسامع كل كائن فى
(تل أبيب) ، والقرى المجاورة لها ..

وومضت السماء كلها بالانفجار ، وبدا للجميع خفاش
أسود طائر ، يخلق مبتعدًا عن الحصن ، وغلفًا وراءه كتلة من
الذهب والنيران ، تتوسَّط حديقة واسعة ، يحيط بها سور تعلوه
الأسلاك الشائكة المكهربة ..

وانبعث من الحصن المخطَّم صرخة واحدة ..

صرخة زوجة مدير (الموساد) ، وهى تهتف فى ارتياح :
— زُوْجى .

سقطت فاقدة الوعى ..

وواصل (الخفاش الأسود) الطائر تحليقه ، وكأنما يرفع
راية النصر ، فى سماء المعركة ..

ارتجف قلب (زينب) فى قوَّة ، حينما دوى الانفجار ،
وحيل إليها أنها تسمع صوت نبضات قلبها القويَّة ، وهى تفهم
فى توثر بالغ :

— لقد فعلها .. هل نجح يائرى ؟ ..

لم تمض لحظات حتى حطَّ (الحفّاش الأسود) على مقربة منها ، واندفع منه (أدهم) ، وقفز إلى المقعد المجاور لها ، وهو يقول في هدوء :

— كيف حالك يا (زينب) ؟

تهلّلت أساريرها ، وهي تهتف في حرارة :

— كيف حالك أنت ؟ .. لقد خشيت أن

قاطعها في حزم :

— هل أحضرت حقيتي ؟

أشارت إلى المقعد الخلفي ، وهي تدير المحرّك ، قائلة :

— كل شيء على ما يرام .. هل قتلت ذلك الوغد ؟

غمغم ، وهو يلتقط الحقيبة في اهتمام :

— لست أدري بعد .

هتفت في انفعال ، وهي تنطلق بالسيارة :

— ماذا تفعل ؟ .. ألم تسف القيلًا من أجل ذلك ؟

تمم في حدة :

— ابتعدى أولًا ، وسأجيب عن كل أسئلتك فيما بعد .

أطلقت العنان للسيارة ، وابتعدت بها في سرعة ، وهي

تختلس النظر إليه في إعجاب ، ثم سأله في همس :

— هل اعتدت أن تتصر هكذا دائمًا ؟



أجابها في هدوء ، وهو يرتدى حُلَّة أنيقة :

— إننى لم أنتصر بعد هذه المرة .

هفت في دهشة :

— ولكنك نسفت الحصن .

أخرج من جيبه جواز سفر ديلوماسى ، وتطلع إلى الصورة الملصقة به ، ثم أعاده إلى جيبه ، والتقط من الحقيبة قناعاً مطاطياً رقيقاً ، وهو يقول :

— يمكنهم أن يعدمونى من أجل ذلك .

غمغمت في خيرة وقلق ، وهى تختلس النظر إليه ، في أثناء تثبيت القناع فوق وجهه في إحكام :

— ماذا تعنى ؟

أجابها في هدوء :

— أغبى أننى لا أستحق كلمة النصر ، إلا بعد مفادق موطنك ، ووصولى إلى (القاهرة) .

فتحت شفيتها لضوء سؤال ما ، إلا أنها لم تلبث أن أطبقتهما ، وهى تحدق أمامها ، مغممة في توثر :

— هناك حاجز على الطريق .. إنها نقطة تفتيش ..

استرخى في مقعده ، وهو يقول في هدوء :

— لا بأس .. توقفى قبلها في هدوء .

أطاعت في قلق ، وأوقفت السيارة على قيد متر واحد من الحاجز ، فأسرع إليها ثلاثة رجال ، يحملون المدافع الآلية ، وقال أحدهم في خشونة :

— أوراقكما .

ناولته (زينب) رخصة قيادتها ، ورخصة السيارة ، فألقى عليهما نظرة سريعة ، والتفت إلى (أدهم) ، مغممًا في خشونة :

— أوراقك .

التقط (أدهم) جواز السفر من جيبه ، وناولته للجندى ، وهو يقول في برود :

— ها هى ذى .. ولكن أتم عملك في سرعة ، فأنا فى

طريقى إلى المطار .

لم يكد الجندى يلقي نظرة على جواز السفر ، حتى شحَب وجهه ، وأعاده إلى (أدهم) في سرعة ، وهو يغمغم في ارتباك :

— ها هو ذا ياسيدى .. معذرة .

ثم أشار إلى باقي الرجال ، فأسرعوا يرفعون الحاجز ،
وانطلقت (زينب) بالسيارة ، ولم تكذب بعد ، حتى هفت :
— ماذا فعلت به ؟ .. إنها أول مرة أشاهد أحدهم يعتذر .
ابتسم ، وهو يقول في هدوء :

— هذا طبعى يا عزيزى ، فذلك الجواز تحفة من تحف
صديقى البدين (قدرى) ولقد قضى ليلة كاملة فى صنعه ، فى
(أثينا) ، فبعد أن أوقعت ذلك الوغد (إيل) ، وجدت معه
جواز سفر ديبلوماسى ، يحمل تأشيرة خاصة ، تمنع أى مخلوق
من التعرض له ، أو تعطيله ، آيا كانت الأسباب ، ولقد راقبت
تلك التأشيرة لصديقى (قدرى) ، فقضى ليلته يزور جواز
سفر مماثل ، باسم آخر ، وذلك الوجه الذى أحله الآن ،
وأضاف إليه تأشيرة مزورة بإتقان رائع ، لم يلفه سواه ، واحتفظت
أنا به للعودة ، إذا ما كشف هؤلاء الأوغاد شخصيتى .

هفت (زينب) فى إعجاب :
— تخطيط رائع .. كم أتمنى أن أعمل معكم يوماً ، فى
اتجاهات المصرية .
ابتسم ، وهو يفهم :

— بل كم أتمنى أنا أن تعمل يوماً ، فى اتجاهات حرّة ، تحمل
اسم اتجاهات الفلسطينية .
أجابته فى حزم :
— سيأتى ذلك اليوم عن قريب .

توقفت بعد عبارتها أمام مطار (تل أبيب) ، وانفتحت إلى
(أدهم) ، قائلة فى سعادة :
— لن أنسى هذا اليوم أبداً يا سيادة المقدم .. لن أنسى
أننى شاركت (أدهم صبرى) ، الأسطورة ، واحدة من
مهامه ، داخل الأرض المحتلة .
ابتسم ، وهو يقول :

— أنا أيضاً لن أنساكم أبداً يا (زينب) ، لقد شعرت
وسطكم أننى فى ديارى ، ولم أشعر لحظة واحدة بالغبرة ، أو
بالوحدة .

غمغمت فى سعادة واعتزاز :
— هذا يشرّفنا ، وسيكون أسعد أيامنا أن نستقبلك ، فى
المرة القادمة ، فى (فلسطين) الحرّة .
غادر السيارة ، ومال نحوها مبتسماً ، وهو يقول :
— الوداع يا (زينب) .

قالت في حرارة :

— بل قُلْ إلى اللقاء .

اتسعت ابتسامته ، وهو يغمغم :

— نعم ... إلى اللقاء .

راقبته ، وهو يتجه نحو باب المطار ، وسالت من عينها
دمعة حارّة ، وهي تغمغم :

— إلى اللقاء بأعظم من صادفت في حياتي كلها .. إلى
اللقاء .



١٠ — الختام ..

انعقد حاجبا (إيل كوهين) في مقت وسخط وغضب ،
حيناً رأى (أدهم) أمامه ، في حجرة وكيل نيابة أمن الدولة ،
في (القاهرة) ، وهتف في خفق :

— لا تبسم هكذا في سخرية ، أيها الشيطان المصري .

اتسعت ابتسامته (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— صنة أيها الوغد .. ليس من حقك إصدار الأوامر

هنا .. إنك متهم بالجاسوسية ، والاتجار في المخدرات .

صاح (إيل) في غضب :

— لا يوجد دليل إدانة واحد ضدّي .. لن يمكنكم أن

تحاكموني إلا بتهمة انتحال شخصية رجل آخر فحسب ، هذا

هو القانون .

قال وكيل نيابة أمن الدولة في هدوء :

— ومن قال إننا لا نملك دليلاً ضدك ؟ .. إن لدينا

تسجيلاً صوتياً لك ، تعترف فيه بزعامة شبكتي المخدرات

والجاسوسية .

اتسعت عينا (إيل) في دُعر ، ثم هتف في عناد :

— إنها مناورة .. ليست لديكم أية تسجيلات صيدى .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— عجبا !!.. لقد استمعت إلى تسجيل صوتك لك ، مع

(توفيق شاهين) ، حينما أتى إلى منزلك في الساعة صباحا .

جمحت عينا (إيل) في رُغب ، وغمغم في ارتياح :

— مستحيل !!.. مستحيل أن يكون (توفيق) قد

خانتى .

اتسعت ابتسامه (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— إنه لم يفعل بالطبع ، فلقد ألقى القبض عليه في الليلة

السابقة لزيارته لك ، بعد خروجنا من مخزنك تماما .

حدق (إيل كوهين) في وجهه في دُهل ، وقال :

— مستحيل !!.. لقد .. لقد

وامتلأت نظراته الداهلة بالارتياح ، وهو يستطرد في

صوت مختق :

— يا للشيطان !!.. إذن فهو لم يكن (توفيق) .. لقد

كان

قاطع (أدهم) في هدوء ساخر :

— لقد كان أنا أيما الوغد .

ارتجفت شفتا (إيل) في دُهل ، وهو يحدق في وجه

(أدهم) ، ثم غمغم في انبهار :

— هذا التسجيل غير قانونى إذن .

هز (أدهم) رأسه نفيا في هدوء ، وقال :

— بل قانونى تماما أيها الوغد ، ولقد تم بإذن مسبق من

النيابة العامة .. من سوء حظك أن العمل بخطة مسيئة قد راق

في هذه المرة ، وأن كل شيء في قضيتك كان قانونيا للغاية .

انهار (إيل كوهين) تماما ، وراح يردد في مراة :

— أنت شيطان .. شيطان حقيقى .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، والتفت إلى وكيل النيابة ،

قائلا :

— حسنا ياسيدى .. إننى مستعد للإدلاء بشهادتى في

القضية .

عانق الدكتور (أحمد صبرى) شقيقه (أدهم) في

حرارة ، وربت على كتفه في قوة ، هاتفا في سعادة :

— كنت أعلم أنك ستفعلها يا (أدهم) .. كنت أعلم

أنك ستخرجنى من السجن .

ابتسم (أدهم) في سعادة وارتياح ، وهو يقول :

— وعلى نحو قانوني يا شقيقى العزيز .

سالت دموع الفرح من عيني (منى) ، وهو تقول في سعادة :

— إن (أدهم) يتصر دؤماً يادكتور (أحمد) ، وكنت أتمنى أن أشاركه تلك العملية الرائعة ، التى بدأت ضد القانون في (القاهرة) ، وانتهت ضد قانون (تل أبيب) .

تطلع إليها (أدهم) في حنان ، وهو يقول :

— لقد كنت أشعر بوجودك إلى جوارى في كل لحظة يا عزيزتى .

تضج وجهها بخمرة الحجل ، وهى تطرق أرضاً ، على حين هتف (قدرى) في مرح :

— وماذا عنى أنا ؟ .. إننى أنتظر تلك الوجبة الشهية ، التى وعدتني بها (منى) .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

— سنتناولها جميعاً ، فوالدقى أصررت على دعوتكم لتناول

الغداء في منزلنا اليوم ، وهى تظهو الأطعمة الشهية منذ مساء أمس .

هتف (قدرى) :

— يا إلهى !! .. هيا بنا إذن .. لقد سال لُعابى في شيلة .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول في مرح :

— يا لوالدتك المسكينة يا عزيزتى ! .. أراهنك أنها

ستصاب بالرعب والندم ، بعد مشاهدة الكميات الهائلة ، التى سيتناولها عزيزنا (قدرى) .

مط (قدرى) شففيه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :

— أى زُعب ؟ وأى ندم ؟ يا (أدهم) .. أنت تعلم أن

بدانتى وراثية ، ولا شأن لها بكميات الطعام التى أتناولها .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

— نحن نعلم ذلك بالطبع .

ثم انحنت نحو أذنه ، مستطردة في مَرَح :

— لذا فقد أوصيت أمى بأن تمنحك دجاجة كاملة .

هتف (قدرى) في ارتياح :

— فقط !؟

أسرعت (منى) تقول ضاحكة :

— كفانح للشهية فقط بالطبع .

انفجر الجميع ضاحكين ، ثم سأل (أحمد) شقيقه

(أدهم) فجأة :

— ماذا فعلت بمدير (الموساد) ؟

عقد (أدهم) حاجيه في ضيق ، وهو يقول :

— لقد نجنا .. نجح رجاله في إخراجه من القيلأ ، قبل ثوان

من انفجارها ، ولم يصب سوى بجروح طفيفة .

تنهد (أحمد) ، وهو يغمغم :

— حسنا .. لقد شاء له القدر أن يتقَى .

شرد (أدهم) ببصره ، وهو يقول :

— نعم يا (أحمد) ، وشاء لي الله (سبحانه وتعالى) أن

أبقى على مبادئى ، وألا أتخدر أبدا إلى مستوى تلك الشريعة ،

التي تسود العالم الآن .. شريعة الغابة .

[تمت بحمد الله]

المؤلف



د. بيل فاروق

رجل

المستحيل

سلسلة

روايات

بوليسية

للشباب

زاهية

بالأحداث

المثيرة

المثيرة

شريعة الغاب

● ألقى (أدهم صبرى) حظه حقا؟ أم

بقى ليواصل قتاله ضد (إيل كوهين)؟

● كيف انتقلت المعركة من القاهرة إلى

(تل أبيب)؟

● لمن يكون النصر هذه المرة، في تلك

المعركة الشرسة، التي تحكمها (شريعة

الغابة)؟

● افرا الضاحيل المثيرة، لتري كيف يعمل

(رجل المستحيل)....



الثمن في مصر



وما يعادله بالدولار

الأمريكي في سائر

الدول العربية

والعالم

العدد القادم : المعتقل الرهيب